****

حقوق الآخر في ضوء وثيقة المدينة المنورة : تأصيل إسلامي لمبدأ التعايش

بحث مقدم من قبل
المدرس الدكتور خالد عليوي جياد
جامعة كربلاء – كلية القانون

الخلاصة:-

إن التقارب المستمر للشعوب والمجتمعات في الوقت الحاضر بفعل التطورات التكنولوجية ، وتزايد أعداد البشر ، جعل الاحتكاك بين هذه الشعوب والمجتمعات في تصاعد دائم سواء على المستوى المادي أو المستوى الفكري ، وقد اخذ الاحتكاك في كثير من الأحيان نمط الصراع الصفري مع تنامي نزعات تأكيد الهوية الذاتية التي غذتها تحديات العولمة بمختلف أبعادها. واللافت للنظر في هذه الظروف هو بروز الدين كعامل حاسم في تأجيج الصراعات أو تخفيف حدتها وربما إلغائها ، وتظهر هذه الحقائق بشكل واضح في مناطق الاحتكاك الحضاري بين الأديان و الاثنيات المختلفة ، وكذلك في الدول التي تضم أطياف ثقافية متنوعة ، فأصبحت هذه الصراعات خطرا داهما يهدد الاستقرار والأمن والوحدة الوطنية لكثير من الدول ، فضلا عن تهديدها للسلم والأمن الدوليين .

وفي مثل هذا الواقع تبرز الحاجة الماسة إلى تبني مبدأ التعايش كسبيل للسلم الأهلي والتكامل والانسجام الاجتماعي ، وتكبر قيمة هذا المبدأ عندما لا يقتصر مفعوله على خلق البيئة الملائمة لإزالة آثار الصراعات والحروب من أذهان الناس ، بل يكون بحد ذاته عامل تجفيف لمنابع العنف والتطرف التي تقود إلى الصراعات والحروب . والدور الأخير لمبدأ التعايش لا يتم إلا من خلال اضفاء القدسية الدينية عليه ، أي لا تكون الأديان وسيلة المتطرفين لاضفاء الشرعية على أفعالهم ، بل تجردهم من هذه الشرعية بترسيخ الهدف النهائي لكل الأديان ألا وهو زرع الألفة والمحبة بين البشر في إطار عبودية الله بصرف النظر عن اللون والجنس واللسان والمنزلة الاجتماعية أو الاقتصادية .

إن وجود عالمنا الإسلامي في واحدة من أكثر بقاع العالم اختلافا وتنوعا ثقافيا سواء على مستوى الهوية الإسلامية الواحدة أو على مستوى الهويات الأخرى ، يقتضي مبادرة جميع المؤسسات والجهات والنخب المسئولة في البلدان الإسلامية إلى تأكيد أن التعايش بين هذه المكونات الاجتماعية المختلفة ليس ممكنا فحسب ، بل هو واجب شرعي تفرضه الشريعة الإسلامية التي تعد التنوع سنة إلهية لا يمكن إنكارها ، وان كل دعوة هدفها بث الكراهية والعداوة والقسوة في علاقة الناس بعضهم ببعض ، هي دعوة غير شرعية مهما كانت حجج القائلين بها ، لتجنب مخاطر الانقسامات الوطنية والانحلال الاجتماعي في المجتمعات الإسلامية في حالة عدم نجاحها في معالجة مشكلة التنوع الثقافي السائدة فيها. ولتأكيد هذا التوجه وتجنب هذا المصير لا بد من الرجوع إلى مصادر التشريع الإسلامي الأساسية لاستنباط الأحكام الصحيحة منها ، وجعلها منطلقا لبناء مجتمع مدني إسلامي يحترم الكرامة الإنسانية لجميع أعضائه بصرف النظر عن منطلقاتهم الاعتقادية والفكرية وانتماءاتهم الاثنية ، وفي هذا السبيل يأتي البحث في حقوق الآخر في ضوء وثيقة المدينة المنورة ، لكون هذه الوثيقة تمثل أول دستور مكتوب بعد القرآن الكريم في التاريخ الإسلامي حرص الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله من خلالها على تأكيد أهمية التعايش بين البشر ، والتأسيس لدولة مدنية إسلامية تستوعب أطياف ثقافية متعددة ، وهذا ما توضحه الظروف التاريخية الخاصة لصياغة الوثيقة والقواعد والأحكام التأسيسية المستنبطة من فقراتها .

Abstract:-

The constant convergence of peoples and communities at the present time due to technological developments, and increasing numbers of human beings, making the friction between these peoples and communities on the rise permanently, whether on a physical level or intellectual level, was taken friction often style zero conflict with tendencies to confirm self-identity that fueled the challenges of globalization in its various dimensions. Remarkably in these circumstances is the emergence of religion as a critical factor in fueling conflicts or mitigate and possibly canceled, and show these facts clearly in areas of friction of civilization between different religions and ethnicities, as well as in countries which includes spectra cultural variety, making these conflicts serious threat to stability and national security and unity for many countries, as well as the threat to international peace and security.

In such a reality highlights the urgent need to adopt the principle of coexistence as a way of civil peace, integration and social harmony, and grow the value of this principle when not limited effect on the creation of an appropriate environment to remove the effects of conflicts and wars from the minds of people, but be itself factor drying to the source of violence and extremism that lead to conflicts and wars. The latter role to the principle of coexistence is only through imparted sacred religious it, which does have prevent extremists to legitimize their actions, but disinterestedness of this legitimacy to consolidate ultimate goal of all religions, namely laying intimacy and love among human beings in the context of slavery God regardless of color , sex, tongue, social or economic status.

The existence of the Islamic world in one of the most parts of the world cultural diverse, both at the level of the Islamic identity per level or other identities, requires initiative all institutions and the elites in charge in the Muslim countries to confirm that coexistence between these components of social different is not only possible, but is legitimate duty imposed by Islamic law, which it makes the diversity is divine , and that each call to hatred and enmity and cruelty in the relationship people to each other, is an illegal whatever arguments of those who say it, to avoid the risk of national divisions and social decay in Islamic societies in the absence successful to solve the problem of the prevailing cultural diversity. To confirm this trend and avoid this fate we must refer to the sources of Islamic essential legislation to derive correct rulings, and make them a platform for building a civil Islamic society respects the human dignity of all its members regardless of their beliefs and intellectual, ethnic affiliations, and in this way comes research in other right in the light document Medina, the fact that this document represents the first written constitution after Quran in Islamic history which emphasize the importance of coexistence between humans, and establishment of a civil Islamic state accommodate multi-cultural spectra, and this is illustrated in a special historical circumstances to formulate the document and the rules which derived from its paragraphs.

****

المقدمة:-

تمر البشرية في مطلع الألفية الثالثة بتطورات حضارية وثقافية حساسة تجعل من هذا العصر عصرا شديد التقلب سياسيا، واقتصاديا ، واجتماعيا ، وثقافيا ، ونفسيا .. يترافق ذلك مع اندفاع متزايد من الجماعات الرئيسة والفرعية في دول العالم المختلفة نحو تأكيد هويتها الحضارية والثقافية الذاتية . وفي هذه الظروف يبرز الدين كما يقول مارك غوبين : كـ " .. أحد أكثر الظواهر البارزة التي من المحتمل أن تتسبب بإحداث عنف هائلة .. ولكن الدين سوف يلعب أيضا دورا جوهريا في تأسيس مجتمع دولي يحمل التزامات ورؤى أخلاقية مشتركة "(١) . يتوافق هذا الرأي مع رأي فيليب كوستوبولوس في كتابه (أديان العالم والديمقراطية) عندما توصل إلى القول :" إن العالم قد غدا في عمومه حديثا خلال نصف القرن الأخير من خلال انتشار المدن الجديدة والغزو التكنولوجي العلمي وفي بعض الحالات تقدم العلمنة ، ولكنه أصبح كذلك ..أكثر تدينا وهذا أمر لم يكن متوقعا من قبل الغالبية العظمى لمثقفي القرن العشرين " (٢) .

إن هذا الواقع العالمي يتطلب استنفار الجهود من اجل تأسيس أرضية مشتركة للحوار وتقبل الآخر بين الثقافات المتنوعة ، لاسيما في المجتمعات التي تعاني من ضعف الانسجام الثقافي بين مكوناتها الاجتماعية ، قبل أن تتحول العلاقة بين هذه المكونات إلى علاقة ذات أبعاد صفرية تقود إلى صراع مدمر لا تحمد عواقبه . ولأن الدين يمثل عاملا جوهريا وحيويا في الحراك الاجتماعي يؤهله إلى أن يكون عامل تقريب وتأسيس لسلم اجتماعي ترتقي عليه الحضارة الإنسانية ، أو يكون عامل تأجيج لصراعات مدمرة تنتهك كل المحرمات وتتجاوز على كل الحقوق ، اعتمادا على طبيعة الرؤى التاريخية والرمزية والأسطورية التي يحملها المتدينون ، وطبيعة العلاقة التي تربطهم بدينهم وطائفتهم وانعكاسها على أهل الأديان والطوائف الأخرى. فان الحاجة ماسة إلى أن تبادر النخب الدينية والثقافية المؤثرة إلى توظيف المقولات الدينية لترسيخ ثقافة الحوار وتعزيز السلم الأهلي في البلدان الإسلامية والبلدان غير الإسلامية . لذا يأتي بحث : **حقوق الآخر في ضوء وثيقة المدينة المنورة : تأصيل إسلامي لمبدأ التعايش** ، كخطوة في هذا السبيل.

أهمية البحث :

تبرز أهمية هذا البحث في كونه يستند إلى نصوص الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة – وثيقة المدينة المنورة نموذجا - لفتح آفاق الحوار والتسامح والاحترام المتبادل وتقديس التنوع في مجتمعاتنا الإسلامية(٣)، لمنع انغلاقها الحضاري والثقافي على بعضها البعض وعلى المجتمعات الأخرى ، في وقت تندفع فيه قوى الإسلام السياسي إلى السلطة بقوة وتمارس جهدا تعبويا كبيرا على مواطنيها ، لاعتناق مقولاتها الدينية التي ترسم ملامح قيادتها للسلطة ، وعلاقتها بالآخر الوطني والدولي ، والتي قد تكون في بعض الأحيان مقولات استفزازية تحريضية لا تؤسس لبناء دولة مدنية قائمة على السلم المجتمعي . فإدراك أن الآخر الذي نعيش معه في الإطار الوطني أم في الإطار الإنساني له حقوق مقدسة لا بد من احترامها سيفسح المجال للتعايش معه ، وسيهدم الأسوار التي تحول دون تقبله كشريك أنساني لابد من العمل معه . فبقاء أسوار الشك والخوف من الآخر ، وتهميشه ورفض الاعتراف بوجوده من شأنها غلق باب النقاش والحوار معه ، وهذا الأمر كما يقول الفيلسوف ايمانويل ليفناس سيحرمنا " من نجدة الكلمات ومن ثمار النقاش الذي يمكننا من التخلص من معتقداتنا البالية " (٤).

إن أهمية ترسيخ مبدأ التعايش في المجتمعات المتنوعة أثنيا ومذهبيا ودينيا كمجتمعاتنا الإسلامية تتضح في كونه السبيل الوحيد لتلافي النزاع والصراع الأهلي القادم بين مكوناتها الاجتماعية المختلفة ، " فأرضية النزاع تستمر عندما يفترض الأعضاء في مختلف الجماعات سوء النية في أعمال الجماعة الأخرى . وفي نفس الوقت ، لا يملك أعضاء الجماعات أية ضمانات بأن الآخرين يسلمون حتى بمجرد حقهم في الوجود . وهذا العداء يحمل في طياته قابلية التحول إلى عنف وحشي ، يمكن أن يسمم الأجواء بشكل مؤقت وحتى بشكل نهائي " (٥). أما إذا سادت أجواء التعايش ، فان أعضاء الجماعات المتنازعة ، قد يستمرون بالارتياب ببعضهم البعض ، لكنهم في

الوقت نفسه يقومون بإعمال مشتركة أو موازية يستطيعون من خلالها بناء إحساس اكبر بالأمان ، والاحترام المتبادل . " ومن خلال إدراكهم التدريجي للفرص الاقتصادية المتزايدة وللأمان ، يصبح بإمكان أعضاء الجماعات المختلفة تقبل بعضهم البعض كمشاركين في المجتمع وكناشطين معتمدين على بعضهم البعض ويصبح بإمكانهم كذلك تخيل أنفسهم يعيشون معا في سلام "[٦]. ومن هذا المنطلق تبرز أهمية البحث كونه يحاول وضع نقاط ارتكاز ضرورية لترسيخ مبدأ التعايش في مجتمعاتنا الإسلامية أولا وفي المجتمع الإنساني ثانيا ، مستندا إلى مصادر التشريع الإسلامي الرئيسة ليضفي على الموضوع قدسيته ووجوبه .

مشكلة البحث :-

إن التساؤل الرئيس الذي يحاول أن يجيب عنه البحث هو: هل انطوى الإسلام كدين على أسس متينة وحضارية ترسخ مبدأ التعايش مع الآخر ، وتسمح بتأسيس دولة إسلامية مدنية تستوعب مكونات اجتماعية متنوعة ثقافيا أم لا ؟.

فرضية البحث :-

ينطلق البحث من فرضية مفادها : يعزز الإسلام الانفتاح السياسي على الآخر بما يحفظ حقوقه وحرياته وكرامته الإنسانية ، ويفسح المجال للتعايش والسلم الاجتماعي في دولة إسلامية متعددة الانتماءات الثقافية .

منهجية البحث:-

اعتمد في البحث على منهج تحليل المضمون كمنهج رئيس في البحث.

هيكلية البحث:-

يتكون البحث من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة : المبحث الأول جاء بعنوان مفهوم الآخر ومفهوم التعايش ، وضم مطلبين : تضمن المطلب الأول تحديدا لمفهوم الآخر بينما تضمن المطلب الثاني تحديد لمفهوم التعايش .

وذهب المبحث الثاني إلى تحديد صور الآخر في الإسلام من خلال مطلبين : الأول تحدث عن صور الآخر في القرآن ، والثاني تحدث عن صور الآخر في السنة النبوية الشريفة : وثيقة المدينة المنورة نموذجا . فيما انشغل المبحث الثالث بالحديث عن القيمة الدستورية لوثيقة المدينة وحقوق الآخر فيها من خلال مطلبين : الأول ذهب إلى الحديث عن القيمة الدستورية للوثيقة ، والثاني تحدث عن حقوق الآخر في الوثيقة.

المبحث الأول: مفهوم الآخر ومفهوم التعايش

سيتم في سياق هذا المبحث تحديد مفهوم الآخر، ومفهوم التعايش من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية ، والفهم الإسلامي لكل منهما وكما يلي :

المطلب الأول: مفهوم الآخر

أولا : المعنى اللغوي للآخر

عند البحث في معاجم اللغة العربية عن مفردة الآخر (بفتح الخاء وضم الراء) نجد انه يقصد بها ".. أحد الشيئين ويكونان من جنس واحد.. (أو) بمعنى غير.."[٧]، فآخر هو:".. أحد الشخصين أو الشيئين ويكونان من جنس واحد أو هو ما يدل على فرق، على تمييز بين شخص أو شيء مقصود وأشخاص أو أشياء من الفئة ذاتها والجنس نفسه.."[٨]. كما ترد المفردة بمعان أخرى ترتبط بالآخرة كمقابل للدنيا، أو بالزمن ، أو بالوصول المتأخر فيما يتعلق بتتابع الأحداث أو الأشياء . والآخر في مفهومه اللغوي يتسع مدلوله لكل ما هو غير الذات ، وغير الذات يشمل كل ماله وجود في الكون بدءا من الإنسان الذي يخالف الذات ومرورا بسائر المخلوقات كالحيوان وسائر الأحياء والجمادات . لكن الاستعمال الشائع للفظ الآخر يميل إلى حصره في الآخر البشري[٩]، أي ذلك

****

الآخر الذي نعيش، ونتشارك معه النوع الإنساني نفسه ، لكنه يختلف عنا في السجايا والمعتقدات والأفكار والأمزجة...

لذا عندما حاول الدكتور محمد عابد الجابري(رحمه الله) تفسير المفهوم اللغوي لكلمتي آخر وغير في العربية قال : آخر في أصل معناها صيغة أفعل (أأخر) من التأخر ، أي المجئ بعد ، فهي لا تفيد الضدية ، وإنما الاختلاف ، وفيها معنى الصفة والنعت مثل قولك : هذا باب ، وهذا باب آخر . أما كلمة غير، فتكون مرادفة لكلمة آخر من حيث كونها كلمة نكرة مبهمة قد تفيد الصفة والبدل مثل قولك: رأيت سيارة غير سيارتك، أو الحال كقوله تعالى:{..فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ.. }(١٠)،أو الاستثناء بمعنى سوى كقولك : حضر الطلاب غير فلان ،أو إلا إذا تقدمتها ليس أو لا كقولك: قرأت خمس صفحات ليس غيرها ، أو تفيد الكثرة كقولك : قرأت هذا الكتاب غير ما مرة ، ومن كلمة غير يشتق مصدر الغيرية وهو مصدر صناعي يفيد مطلق الاختلاف ولا يفيد الضدية بالضرورة . والفرق بين لفظ آخر ولفظ غير عند اللغويين العرب أن الأول منهما يفيد استثناء الشئ من جنس ما تقدمه كقولك : رأيت رجلا وآخر معه ، فآخر هنا من جنس ما تقدم (الرجل) ولا يمكن أن يكون امرأة أو صبيا أو حيوانا ..على العكس من كلمة غير التي تفيد مطلق المغايرة فتقول : رأيت رجلا وغيره ، وهذا الغير قد يكون رجلا مثله وقد يكون صبيا أو امرأة أو كائنا آخر(١١).

يتضح مما تقدم أن المعنى اللغوي لكلمة آخر ومرادفتها كلمة غير في العربية لا يعني أكثر من مجرد الاختلاف في الصفات بين الذات ومحيطها البشري،لذلك هولا ينطوي على الاختلاف في الجوهر بين الاثنين،والذي يتضمن الضدية بين الذات ومحيطها البشري بحيث يكون المحيط ضروري لتأكيد هوية الذات وتميزها وتفوقها عليه (١٢).

ثانيا: المعنى الاصطلاحي للآخر

يثير الفهم الاصطلاحي للآخر نوعا من الإرباك بسبب اختلاف الزاوية الثقافية والمعرفية التي ينظر بها للكلمة ، فالآخر في الفلسفة الأوربية الحديثة يحمل معنى مضاد لمعنى الذات ، أي كل ما هو غير نفسي أنا يعد من الآخرين الذين قد يتصفون بصفات دونية تحول دون الاختلاط معهم ، فيكون هذا الآخر عامل مهم في تأكيد هوية الذات(١٣) . فعرف فيلهو هارلي الآخر : بأنه تعبير عام يغطي الحالات التي يعترف فيها بالاختلافات اللغوية والثقافية الأخرى والتي تشكل الأساس لهوية نحن (١٤) . كما عرفه أحدهم: بأنه " يعني شخصا آخر ، أو مجموعة مغايرة من البشر ذات هوية موحدة ، وبالمقارنة مع ذاك الشخص أو المجموعة يتحدد الاختلاف معه أو معها "(١٥) . وانطلاقا من هذا الفهم سبق لهيغل أن حدد في كتابه (فلسفة التاريخ) الآخر بأنه إنسان الشرق الذي يتحرك في إطار هامشي ومتخلف حول مركز الحكمة والمعرفة (أوربا المعاصرة واليونان القديمة) التي تمثل الأنا الغربية ، فالآخر عند الغربيين يدل على التخلف ، والضعف ، والهمجية ، والتوحش ، والبعد عن الإبداع والإنتاج ، على حين تمثل الأنا الغربية الرقي ، والتفوق ، والاستعلاء ، وقد تسرب هذا الفهم للآخر إلى العولمة بكل تحدياتها ليجعل منه دعاتها وسيلة لفرض القهر والسيطرة الغربية على الآخرين باسم الحرية والديمقراطية(١٦).

فالعقل الغربي تستحوذ عليه علاقة أساسية هي علاقة الأنا والآخر لا علاقة آخر بآخر ، والفرق بين العلاقتين هو أن العلاقة الأولى تنطوي على السمو والتفوق والتعالي من قبل الأنا على الآخر ، مما يجعل الاختلاف بين الاثنين اختلاف في الجوهر يمنع التفاهم والحوار بينهما ويحول دون خلق الأرضية المشتركة لبناء مجتمع أنساني واحد ، بينما العلاقة الثانية تجعل الاختلاف بين الاثنين اختلاف في الصفات فقط مع توفر الأرضية المشتركة للحوار والتفاهم القائمة على الاشتراك في الوجود الإنساني الواحد (١٧). وقد دفعت هذه الحقيقة محمد عابد الجابري إلى الاعتقاد بأن الفهم الأوربي للآخر يؤسس لفكرة السلب أو النفي ، فالأنا لا يفهم إلا بوصفه سلبا أو نفيا للآخر ، والآخر هنا غالبا ما يمثله العالم الإسلامي(١٨). وهناك من حاول التمييز في طريقة التعامل مع مفهوم الآخر بين الجانب الأخلاقي والإنساني من جهة ، والجانب الفكري والثقافي من جهة أخرى ، معتقدا أن

****

الجانب الأول يقتضي إلغاء ما يسمى بالآخر لأن الطبيعة الإنسانية واحدة وثابتة من حيث الجوهر والخلق والتكوين ولا يوجد اختلاف أو تمايز بين جميع البشر مهما اختلفت ألوانهم وألسنتهم وأعراقهم ومدنياتهم . أما الجانب الفكري والثقافي فيتحدد فيه مفهوم الآخر للإشارة إلى تلك الاختلافات الفكرية والثقافية بين الأفراد أو المجموعات البشرية ، مهما كان لون هذه الاختلافات : سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي .. [١٩].

ثالثا : المفهوم الإسلامي للآخر

لا يمكن للإسلام وهو دين يتجه إلى خلق اجتماع أنساني متجانس ومتكامل قبول الفهم الغربي للآخر بصورته أعلاه ، لما يثيره من مشاكل أخلاقية وإنسانية تؤجج الصراع والنزاع بين البشر وتمنع تعايشهم مع بعضهم البعض ، لأن النرجسية والتعالي على الآخر وعدم احترامه سيمنع قبوله كشريك أنساني ممكن الحوار والتعايش معه . لكن في الوقت نفسه يجب الاعتراف بوجود آخر في علاقة الناس بعضهم ببعض ، طالما يوجد اختلاف بين البشر في الملكات الأخلاقية والتكوينية والمعرفية والاقتصادية والفكرية ..على الرغم من رجوعهم إلى طبيعة إنسانية واحدة ، يؤكد ذلك قوله تعالى :{ وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ● إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } [٢٠] .

لقد ذهب سيد قطب (رحمه الله) في تفسير معنى الاختلاف في هذا النص القرآني إلى القول : " لو شاء الله لخلق الناس كلهم على نسق واحد ، وباستعداد واحد نسخا مكرورة لا تفاوت بينها ولا تنويع فيها . وهذه ليست طبيعة هذه الحياة المقدرة على هذه الأرض . وليست طبيعة هذا المخلوق البشري الذي استخلفه الله في الأرض .

ولقد شاء الله أن تتنوع استعدادات هذا المخلوق واتجاهاته ، وأن يوهب القدرة على حرية الاتجاه ، وأن يختار هو طريقه ، ويحمل تبعة الاختيار . ويجازى على اختياره للهدى أو للضلال .. شاء الله ألا يكون الناس أمة واحدة . فكان من مقتضى هذا أن يكونوا مختلفين . وأن يبلغ هذا الاختلاف أن يكون في أصول العقيدة – إلا الذين أدركتهم رحمة الله – الذين اهتدوا إلى الحق .. وهذا لا ينفي أنهم مختلفون مع أهل الضلال "[٢١] . وعلق محمد جواد مغنية (رحمه الله) على سنة الاختلاف بين البشر الواردة في النص القرآني المتقدم بالقول : " .. إن الناس اختلفوا فيما مضى ، وسيستمرون على هذا الاختلاف إلى الأبد ، لأنه نتيجة حتمية لجعل الإنسان مخيرا غير مسير ، يتجه إلى حيث شاء وأراد (إلا من رحم ربك) ، والمراد بالمرحومين الذين يتوخون الحقيقة بإخلاص وتجرد ، وهؤلاء لا يتطاحنون ويتناحرون على الحطام ، وإذا اختلفوا فإنما يختلفون في الرأي ووجهة النظر ، واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية ، وتعدد وجهات النظر شئ مفيـــد ، لأن القول القوي هو الذي يكون قـــويا رغم وجــــود الأقـــوال الأخرى .." [٢٢] . ويضيف في موضع آخر بالقول : " وجد الاختلاف بين الناس منذ أن قتل قابيل أخاه هابيل ، واستمر حتى اليوم ، وسيبقى إلى آخر يوم ، ولا يختص الاختلاف بأهل الأديان .. فان اختلاف غيرهم قد بلغ النهاية .. ومهما يكن ، فان للاختلاف أسبابا كثيرة ، منها التباين في الثقافة والتربية ، ومنها التغاير في الاستعداد والموهبة ، ومنها الاختلاف في الطبع والمزاج ، ومنها التصادم بين المصالح والمنفعة الخاصة .." [٢٣].

انطلاقا مما تقدم ، يتضح أن الإسلام لا ينفي الآخر ولا ينكر وجوده ، طالما أن الاختلاف بين البشر سنة إلهية ، كما لا يمكن التعالي عليه والتعامل معه بدونية لوجود المشترك الإنساني الرابط بين الناس ، ووفقا لذلك ينصرف مفهوم الآخر في الإسلام إلى: كل وجود بشري غير الأنا ، لكنه يختلف معها في القدرات المادية(الجسدية والاقتصادية)، والملكات العقلية والأخلاقية، والمنطلقات الفكرية والسياسية والاجتماعية .. فتختبر على ضوء العلاقة بين الطرفين (الأنا والآخر) قوة الحقائق التي تصلح لبث السعادة في الوجود الإنساني،ولولا وجود الآخرلبقيت هذه الحقائق مجهولة أوغيرمدركةمن الأنا،فالآخر هومرآة الأنا ليس لإدراك الوجود والإحساس بالهوية فحسب،بل لإدراك الحاجة إلى التغيير واكتشاف صحة الأحكام والقواعد التي تصنع الحياة والعكس صحيح .

المطلب الثاني : مفهوم التعايش

أولا : المعنى اللغوي للتعايش

تعايش (بفتح الياء) فعل رباعي مشتق من الفعل عاش ينصرف معناه إلى فعل الاجتماع بين اثنين أو أكثر بألفة ومودة كقولك: تعايش زميلان، تعايشت كائنات حية، تعايشت الرأسمالية والشيوعية. أما تعايش (بضم الياء) فيشير إلى تبادل أسباب الحياة والعيش بمودة وألفة بين الأفراد والجماعات المختلفة ومنها الدول، فضلا عن الأفكار والأيديولوجيات سواء أكان مصدرها الهي أم وضعي[٢٤].

أن المعنى اللغوي للتعايش يجعل من المفردة مبدأ أساس يقوم عليه التواجد السلمي المشترك للأفراد والجماعات بما تحمله من اختلافات حضارية وثقافية واثنيه وقومية ، سواء على مستوى الدولة الواحدة أم على مستوى الوجود الإنساني في هذا الكوكب ، والبديل المغاير للتعايش هو الصراع الصفري(بقاء الذات يتوقف على زوال الآخر) الفردي والجماعي بكل ما ينطوي عليه من تعصب ، واستعلاء ، واستبداد ، وضيق أفق ، واحتراب أهلي، وما ينتج عنها من انقسام حاد ، وفوضى ، وألم ، وكراهية متبادلة بين البشر .

ثانيا : المعنى الاصطلاحي للتعايش

يعد التعايش من المصطلحات الحديثة التي انشغلت بها العلوم السياسية والاجتماعية ، ولم يحض باهتمام ملحوظ إلا في الفترة الأخيرة ، لاسيما في عالمنا العربي والإسلامي . لذا عند تعريف المصطلح ستواجه الباحث مشكلة قلة الكتابات المنشورة باللغة العربية ، ومنها تعريف سفن م . سبينجيمان الذي يقول : إن التعايش يمثل " نموذجا لاستئناف حياة منتجة آمنة ، ونظاما اجتماعيا يمكن للأفراد الذين انخرطوا في أعمال عدائية سابقة ضد بعضهم البعض أن يعيشوا ويعملوا معا دون أن يدمر أحدهم الآخر . فالتعايش إذن هو الطريقة التي يجب أن تدار بشكل حذر من أجل تجنب تجدد العداءات وفي بعض الأحوال قد يصبح التعايش شكلا لدولة مستقرة نسبيا ، ولكنها غير مندمجة . أو في حالات أخرى ، قد يحمل معه احتمالات تحقيق اندماج اجتماعي واقتصادي أكثر عمقا "[٢٥].

كما يعرف التعايش بأنه مصطلح عريض يستخدم لوصف فكرة عامة واحدة ولكن على درجات مختلفة من الحدة ، تستهدف إيجاد مجتمعات متكاملة تماما يعيش فيها الناس من مختلف الأعراق ، والأجناس ، والأديان منسجمين مع بعضهم البعض دون أن يقتل أحدهم الآخر، ودون أن ينفرط عقد التعايش داخل هذه المجتمعات بفعل العنف المتبادل [٢٦]. وهناك من يعرف التعايش بأنه " قبول التصالح الدنيوي ، والوجود والجوار في الاتفاق على جملة من الأخلاق الإنسانية التي تتيح الفرصة لتبادل الحوار والإقناع "[٢٧]. أو هو " نوع من التعاون والتعارف في المشترك الحضاري والإنساني ، وتبادل الخبرات التي تعين الإنسان على عمارة الأرض ، ونشر قيم الخير التي يتفق الناس على الاعتراف بها .. "[٢٨]. ولا يعني العمل بمبدأ التعايش تخلي أي طرف عن رأيه الشخصي أو عن عقيدته ودينه " .. فالرأي الذاتي هو جزء من شخصية المرء ، ولا يملك أحد أن يطالب الآخرين بتغييره أو مخالفته ، إلا أنه يبقى في النهاية مجرد رأي شخصي ، والمطلوب هو التخلي عن التعصب المحتقن ، والانفعال الجاري في غير قناته ، وإحلال الحوار والدعوة بالتي هي أحسن محله . فالتعايش ترك التعصب للرأي والإكراه عليه ، لا ترك الرأي نفسه أو المساومة عليه .. "[٢٩].

يتضح من خلال ما تقدم ما يلي :

- إن التعايش هو القيمة الأخلاقية التي لا بد من توفرها ابتداء لفتح آفاق الحوار والتصالح مع الآخر ، وبناء مجتمعات مدنية مستقرة تقوم على الاحترام والقبول المتبادل ، والاعتراف بحقوق الغير.
- يمثل العمل بمبدأ التعايش ضمانة مهمة لمنع انزلاق المجتمعات المتنوعة ثقافيا إلى هاوية العنف والصراع المدمر.

****

– يكون الإقرار بمبدأ التعايش وسيلة ضرورية ، ومدخل أولي لإعادة اللحمة والانسجام إلى المجتمعات التي قسمتها النزاعات الدينية أو الطائفية ، أو الاثنية أو القومية .. لكن لا يعني أن يتم ذلك بين ليلة وضحاها ، وإنما قد يستغرق الأمر بعض الوقت لحين رفع حواجز الشك والريبة والخوف والكراهية المتبادلة بين الجماعات التي خاضت صراعات عنيفة سابقا ، للسير في طريق المصالحة ، وإيجاد الانسجام الاجتماعي .

ثالثا : المفهوم الإسلامي للتعايش

لم ترد لفظة التعايش في القرآن الكريم بهذا المعنى ، وإنما وردت بألفاظ أخرى ، تشير إلى حال الإنسان في حياته ، كقوله تعالى:{ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ }[٣٠] ، وقوله تعالى:{ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا..}[٣١] ، وقوله تعالى:{.. نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ..}[٣٢] ، وقوله تعالى:{ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ }[٣٣]، وقوله تعالى:{ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى }[٣٤]. لكن ذلك لم يمنع من وجود معنى التعايش في كتاب الله من خلال كلمة رائعة مرادفة ، تلك هي كلمة (التعارف) التي ورد ذكرها في قوله تعالى :{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }[٣٥].

وقد ذهب المفسرون إلى جعل هذه الآية أساس مبدأ التعايش في الإسلام ، إذ قال سيد قطب في تفسيره لها : " يا أيها الناس . يا أيها المختلفون أجناسا وألوانا ، المتفرقون شعوبا وقبائل . إنكم من أصل واحد . فلا تختلفوا ولا تتفرقوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا بددا . يا أيها الناس . والذي يناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم .. وهو يطلعكم على الغاية من جعلكم شعوبا وقبائل . أنها ليست التناحر والخصام . إنما هي التعارف والوئام . فأما اختلاف الألسنة والألوان ، واختلاف الطباع والأخلاق ، واختلاف المواهب والاستعدادات ، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق ، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات . وليس للون والجنس واللغة والوطن وسائر هذه المعاني من حساب في ميزان الله . إنما هنالك ميزان واحد تتحدد به القيم ، ويعرف به فضل الناس : " إن أكرمكم عند الله اتقاكم " ، والكريم حقا هو الكريم عند الله .. وهكذا تتوارى جميع أسباب النزاع والخصومات في الأرض ، وترخص جميع القيم التي يتكالب عليها الناس ، ويظهر سبب ضخم واضح للألفة والتعاون : إلوهية الله للجميع ، وخلقهم من أصل واحد ، كما يرتفع لواء واحد يتسابق الجميع ليقفوا تحته : لواء التقوى في ظل الله .. "[٣٦]. وأكد محمد جواد مغنية ما ذهب إليه سيد قطب بقوله: " .. الغرض من قوله تعالى: " خلقناكم من ذكر وأنثى " أن يعلم الناس ، كل الناس ، إنهم أخوة ، والأخوة سواسية في الحقوق والواجبات ..(و) ليس القصد من اختلافكم في البلدان والأنساب والألوان أن تتفرقوا شيعا ، وتتناحروا وتتفاخروا بشعوبكم وآبائكم وأجناسكم ،كلا، وإنما القصد أن تتعاطفوا وتتعاونوا على ما فيه خيركم وصلاحكم .. وهذه دعوة من القرآن الكريم إلى أمة إنسانية وعالم واحد يجمعه العدل والمحبة ، وهذا أمل الصفوة من المفكرين وحلم المصلحين .. "[٣٧].

بناء على ما تقدم ، فان المفهوم الإسلامي للتعايش يتميز بما يلي :

– انه مفهوم يكسر الحواجز الناجمة عن الاختلاف بين الناس ، ويفتح أفق الحوار وقبول الآخر ، لترسيخ فضيلة الاحترام المتبادل استنادا إلى الأصل الإنساني الواحد.

– انه مفهوم يؤكد على المنهج الإصلاحي في العلاقات الإنسانية ، فمقياس العلاقة الجيدة هو حجم الإصلاح الناجم عنها في عمارة الأرض ، وتقوية أواصر المودة والمحبة والتراحم بين الناس في ظل طاعة الله ، مما يجعل المفهوم الإسلامي للتعايش منسجما تماما مع مفهوم الآخر في الإسلام .

– انه مفهوم يستند إلى أسس شرعية تقر بحتمية الاختلاف وضرورة التجانس والتكامل بين الأفراد والجماعات،ممايزيد من قدسيته ووجوبه،ولا تفرضه ضرورات آنية ناجمة عن الصراع بين الأفراد والجماعات .

****

– انه مفهوم يجفف منابع العداء بين الناس ، ويقطع أسباب الاحتراب سواء على مستوى الدولة الواحدة أم على المستوى الإنساني عند الالتزام بشروطه ومعاييره من جميع الأطراف .

المبحث الثاني : صور الآخر في الإسلام

في هذا المبحث سيتم تحديد صور الآخر في الإسلام من خلال تحديد صوره في القرآن الكريم أولا ، ثم صوره في السنة النبوية الشريفة بالاستناد إلى وثيقة المدينة المنورة كأنموذج للبحث.

المطلب الأول : صور الآخر في القرآن الكريم

أحصى أحد الباحثين لجذر (أ.خ.ر) في القرآن ٢٥٠ لفظة وردت بمعانٍ وصيغ عدة ، إلا إن ما يرتبط منها بفهم الآخر كغير متميز عن الأنا، له كيانه المستقل: سياسياً وثقافياً ونفسياً وفكرياً لا يتجاوز الـ ٤٧ لفظة وردت بصيغ مختلفة[٣٨].

وإذا كان القرآن الكريم يحتفظ بالمركزية المطلقة للذات الإلهية المقدسة ، ويستعمل الخطاب المعبر عن الجمع والجماعة في صيغ عدة مثل:"يا أيها الناس"، "المؤمنون"، "الذين آمنوا"، "الكفار"، "المنافقون"، "المسلمون"، فإن هذه الصيغ كما يرى حسن السعيد تجعل النص القرآني متمركزاً حول فئة الإيمان، وفئة الكفر، التي ينبثق عنها ما يسمى بـ "دار الإيمان" و "دار الكفر"[٣٩] ، بحيث تغدو الأنا معبرة عن الفئة المؤمنة (دار الإيمان أو دار الإسلام) ، والآخر معبر عن الفئة الكافرة (دار الكفر أو دار الحرب)[٤٠]، وتوصل السعيد من خلال فهمه للنص إلى القول : إن النص القرآني لا يقتصر على هذه الصور للأنا والآخر ، بل يتسع إلى صور أخرى تتمثل في الآخر الداخلي والذات المشوهة أولاً ، والآخر الخارجي ثانياً ، والآخر المزدوج ثالثاً[٤١].

وفي الوقت الذي يمكن الاتفاق مع السعيد في بعض من تقسيماته هذه في تشعباتها الثانوية ، إلا إنها – أحياناـ تعرض المجتمع السياسي الإسلامي إلى نوع من القلق وعدم الاستقرار مما يضعف نزعة التعايش السلمي بين مكوناته المتعددة[٤٢]. لذا يفضل تحديد صور الآخر في الكتاب المجيد بشكل يكون أكثر انسجاماً مع الكيان السياسي القائم في المجتمعات السياسية الإسلامية في الوقت الحاضر، وأحسن دفعاً باتجاه بناء الدولة المدنية الإسلامية ، وكما يلي:

الصورة الأولى : الأنا والآخر النوعي

يفرق النص القرآني في خطابه بين النوع الإنساني الذي يتوجه إليه بمجمله وبصرف النظر عن تنوعاته الخلقية(بفتح الخاء) والخلقية (بضم الخاء) والأعتقادية ، وبين نوع آخر من الخلق الإلهي غريب عن نوع الإنسان وغير مرئي بالنسبة إليه يمثله نوع الملائكة والجن. فتكون الأنا في هذه الحال ممثلة للإنسان كنوع ، والآخر ممثل للملائكة والجن كنوعين مختلفين عنه[٤٣]. والإشارات إلى الأنا الإنساني النوعي في القرآن وردت في مواضع عدة بعبارات مثل " الناس " ، "بني آدم " ، " الإنسان " [٤٤] ، كما في قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً }[٤٥]، وقوله تعالى:{ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً }[٤٦] ، وقوله تعالى:{ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ }[٤٧]، والآيات في هذا الباب كثيرة .

أما الآخر النوعي المغاير للإنسان ، فلعل أوضح الإشارات القرآنية إليه هي تلك التي نجدها في الآيات التي تتحدث عن بداية الخلق كقوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ..(إلى قوله تعالى :) قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ}[٤٨]، وفي قوله تعالى: { وَجَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ..}[٤٩] ، وقوله تعالى: { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ

****

يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَـذَا..}[٥٠] ، وقوله تعالى: { وَالْجَآنَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ }[٥١] ، وقوله تعالى: { وَقَالُواْ لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكاً لَّقُضِيَ الأمْرُ ثُمَّ لاَ يُنظَرُونَ..}[٥٢].. وإذا كان الملآئكة يمثلون الأخر النوعي الحامل للخير المطلق ، والمطيع لله دوما فلا يعصي له أمراً ، فإن الجن هم نوع مختلف ، قد يحتمل الأخذ بالخير وينقاد لأمر الله تعالى، كما في قوله تعالى:{ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً • يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً(إلى قوله تعالى:) وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَداً}[٥٣] ، أو يكون متمرداً على الإرادة الإلهية ، معادياً للإنسان ، ناشراً الفساد في الأرض ، وهو ما يمثله الشيطان (إبليس) وأتباعه من الجن، فيحذر الخطاب القرآني من هذه الفئة من الآخر النوعي في كثير من الآيات منها قوله تعالى:{ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }[٥٤]، وقوله تعالى:{ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ }[٥٥]، بل إن العداء مع هذه الفئة من النوع الذي لا يقبل المساومة من الإنسان، فأي تقارب معه يكون في غير صالح البشر، لذا نجد الله عز وجل يأمر الإنسان في أن يعلن عدائه له ويجاهر به ويصر عليه حماية لبني نوعه من جهة ، وضماناً لرضا ربه من جهة أخرى ، فيقول تعالى:{ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ } [٥٦].

وعلى الرغم من صراحة الخطاب القرآني في الحديث عن الملائكة والجن ، إلا إنهما يبقيان وجودا نوعيا غير مرئي بالنسبة للإنسان، والقرب أو البعد عنهما يكون مقترنا بالجانب الروحي اللاشعوري الذي يختلف إدراكه من إنسان إلى آخر.

الصورة الثانية : الأنا والآخر الداخلي

تمثل الأنا في هذه الحالة الجماعة المؤمنة التي يتوجه إليها الخطاب القرآني في آيات كثيرة بعبارة: "يا أيها الذين آمنوا" و" المؤمنون" [٥٧]، وهي جماعة لها وجود سياسي واجتماعي يمكن أن تسميته في إطار التجربة الإسلامية بـ(الدولة الإسلامية). أما الآخر فهو الغير المختلف عن هذه الجماعة من ناحية ، ولكنه يتشارك معها الوجود السياسي والاجتماعي من ناحية أخرى.

وقبل تحديد هذا الآخر المقصود في الخطاب القرآني، لابد من إثارة السؤال الآتي: هل إن الجماعة المؤمنة كـ(أنا) تشكل كتلة بشرية متطابقة في المستوى ، والأفضلية ، والدرجة في إطار هذا الخطاب أم لا ؟.

للإجابة على هذا السؤال، يجب تحليل الصيغ التي جاء بها النص القرآني عندما وجه خطابه للأنا كجماعة مؤمنة ، وهذا التحليل سوف يوصلنا إلى الاستنتاج الآتي: إن الجماعة المؤمنة لا تمثل كتلة بشرية متطابقة ، بل تتكون من فئات عدة مختلفة الفضل والدرجة وكما يلي[٥٨]:

١. السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان ، وهم المستوى الأول والأفضل في هذه الجماعة ـ وقد جاء ذكرهم في الآية ١٠٠ من سورة التوبة ، بقوله تعالى : {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[٥٩]. ويمكن أن يضاف إليهم ويدخل في سياقهم المجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم المشار إليهم في آيات قرآنية عدة.

٢. القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر الذين يأتون بعد الفئة السابقة في الفضل والدرجة لعدم اشتراكهم المباشر في الجهاد بالأموال والأنفس في سبيل الله تعالى ، كما يبين ذلك قوله تعالى : {لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُـلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً }[٦٠].



****

٣. المسلمون ، وقد نسميهم عامة الجماعة المؤمنة ، إذا انصرف تفكيرنا إلى أن الفئتين المتقدمتين تمثلان النخبة ، ونجد ذكر المسلمين في قوله تعالى:{قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(٦١).

٤. المقصرون المذنبون المعترفون بتقصيرهم وذنبهم ، وهؤلاء قد ينتمون إلى النخبة أو العامة ، لكن ما ارتكبوه من فعل يجعلهم دون الفئات السابقة في الدرجة ، لكنه لا يخرجهم من الجماعة المؤمنة ، لأنهم قد أقروا بخطئهم وندموا على فعله ، كما يتضح من قوله تعالى :{ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً عَسَى اللّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}(٦٢)، وقوله تعالى:{وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}(٦٣)، وقوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا اللّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}(٦٤)..

والفصل بين هذه الفئات الممثلة للجماعة المؤمنة لا يكون حديا، بل إن التحول من فئة إلى أخرى متاح ويتوقف على مدى استعداد العبد ورغبته في الصعود من الفئات المتأخرة إلى الفئات المتقدمة أو بالعكس قد يحصل الهبوط والتدحرج من الفئات المتقدمة باتجاه الفئات المتأخرة . وكما إن الأنا لها فئات عدة ، فالآخر المشارك لها في الوجود السياسي والاجتماعي، كذلك له فئات عدة وكما يلي:

١- الآخر الداخلي المنشق عن الأنا (الجماعة المؤمنة):-

ينتمي الآخر في هذه الحالة عقائدياً إلى الأنا، لكنه غير ملتزم بمشروعها السياسي، ولا يشعر بالولاء إليها، فيعمل على إضعافها، وتخريب مقومات وحدتها وقوتها ، بل قد يصل الأمر به إلى حد الخروج نهائياً منها، وهذا الآخر تمثله الفئات الآتية :

أ- المنافقون والفاسقون: وهم الذين يظهرون الإيمان ويضمرون الكفر، فينتمون إلى الأنا سياسيا لكنهم يخالفونها سلوكيا ، كما في قوله تعالى:{ وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَوِ ادْفَعُواْ قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ}(٦٥)، وقوله تعالى:{إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}(٦٦). وقوله تعالى{ قُلْ أَنفِقُواْ طَوْعاً أَوْ كَرْهاً لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْماً فَاسِقِينَ ● وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى وَلاَ يُنفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كَارِهُونَ}(٦٧)، وقوله تعالى:{أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لَّا يَسْتَوُونَ}(٦٨).

ب- المرتدون: وهم الذين ينشقون عن الأنا سياسياً وسلوكيا ، وقد أشار إليهم كتاب الله بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}(٦٩).

٢- الآخر الداخلي المختلف عقائدياً:-

وينقسم هذا الآخر في النص القرآني إلى قسمين:

أ- أهل الكتاب من اليهود والنصارى والصابئة الذين ورد ذكرهم في الآية ٦٩ من سورة المائدة ، ويدخل معهم ضمنا أهل الديانات السماوية الأخرى ، وهؤلاء يشكلون فئتين:

- فئة معادية تعمل على تخريب الوجود السياسي للأنا من خلال ما تبثه من إشاعات داخلية ، وما تعقده من تحالفات خارجية، والذين ذكرهم الله تعالى في قوله:{وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ} (٧٠)، وقوله تعالى:{وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُواْ بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُواْ آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} (٧١)، وقوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوَاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً مِّنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ} (٧٢).

****

- وفئة متصالحة مع الأنا، تقبل التعايش معها، وتحترم وجودها العقائدي والسياسي، وقد ذكر النص القرآني هذه الفئة في قوله تعالى:{ لَيْسُواْ سَوَاء مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ●يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَـئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ} (٧٣)، وقوله تعالى:{ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلّهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ} (٧٤).

ب- المشرك الفطري غير المعادي، وهذه الفئة قليلة العدد داخل الكيان السياسي – الاجتماعي للأنا المؤمنة ، وهي تمثل أولئك الذين لم يتخلوا عن عقائدهم المشركة، واستمروا على التشارك مع الأنا في الوجود السياسي – الاجتماعي، لكنهم لم يتحدوا مشروعها السياسي ، ولم يحاولوا النيل منه، لذا نجد الخطاب القرآني لا يقطع الصلة الاجتماعية مع أفراد هذه الفئة، بل ويدعوا إلى الإحسان إلى المقربين منهم ، كما في قوله تعالى:{ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (٧٥)، وقوله تعالى:{ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْناً وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} (٧٦).

الصورة الثالثة :الأنا والآخر الخارجي

يمثل الآخر الخارجي في الخطاب القرآني وجوداً سياسياً وعقائدياً مغايراً يقع خارج الوجود السياسي والاجتماعي للأنا (الدولة الإسلامية)، وهو بحكم ذلك يحتك مع الأنا بطرق عدة ، وأسلوب الاحتكاك يقود إلى تصنيفه إلى فئات مختلفة وكما يلي:

١- الآخر الخارجي المعادي :-

في هذه الفئة يعد الآخر رمزاً للعداء والتهديد المباشر للوجود السياسي والعقائدي للأنا، لذا لابد من مقاومته وعدم التسامح مع تهديده ، والاستعداد المستمر لكسر إرادته وإبعاد خطره ، كما يبين ذلك قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ} (٧٧)، وقوله تعالى:{ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (٧٨)، بل يحذر النص القرآني من هذا الآخر ويمنع التعاون معه، كما في قوله تعالى:{ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (٧٩). والملاحظ هنا إن النهي عن التعاون، وعدم التسامح مع هذه الفئة مرتبط بسلوكها اتجاه الأنا ، مما يعني أنه متى تغير هذا السلوك تغير أسلوب تعامل الأنا معها.

٢- الآخر الخارجي المحايد:-

إن الآخر في هذه الفئة، على الرغم من اختلافه العقائدي والسياسي مع الأنا واحتكاكه الجغرافي مع كيانها السياسي ، إلا إنه لا يشكل تهديداً لها، سواء بنفسه أو بالتعاون مع آخرين معادين، وحياده يجعل منه وجوداً سياسياً وعقائديا مقبول التعاون معه في مجال تبادل المصالح المشتركة، وعدم الاعتداء الابتدائي عليه، كما وضح ذلك قوله تعالى:{ إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىَ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَآؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاء اللّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً} (٨٠)، وقوله تعالى:{ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (٨١)..

٣- الآخر الخارجي الدولي:-

ويمثله تلك الكيانات السياسية القائمة في الوجود الإنساني، لكن ظروفها الآنية وعلاقاتها الدولية جعلت احتكاكها وتأثيرها محدودا على الوجود السياسي الإسلامي، لكن ذلك لا يمنع من دراستها، ومراقبتها، وتحليلها، والاهتمام بشأنها، والآيات التي ترد حول هذا الآخر قليلة ، بسبب واقع العلاقات والتوازنات الدولية التي كانت

سائدة في زمن نزول القرآن ، لكن أوضح إشارة إليه نجدها في قوله تعالى:{ غُلِبَتِ الرُّومُ ● فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ● فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ● بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} (٨٢). وعلى الرغم من التفسيرات التي قيلت حول سبب نزول هذه الآيات، والتي ترتبط بظروف الصراع بين المسلمين وقريش قبل الهجرة ، إلا إننا نجد أن الحديث عن الروم كآخر دولي مرتبط بصراع مع آخر دولي (الدولة الساسانية) في النص القرآني له دلالته الضمنية على ضرورة الاهتمام بهذا الآخر ومراقبة تحالفاته وصراعاته وشؤونه الأخرى وانعكاساتها الآنية والمستقبلية على الوجود السياسي الإسلامي.

من خلال ما تقدم، يخلص إلى القول : إن صور الآخر في القرآن تحكمها ظروف الزمان والمكان والعلاقة المتبادلة مع الأنا ، مما يقتضي أن تكون لكل صورة طريقة وأسلوبا خاصا للتعامل معها – لم يكن اهتمام هذه الدراسة في تحديد هذا الأسلوب – هذا من جانب . ومن جانب آخر ، فان عدم تمحور كل من الأنا والآخر في كتلة بشرية واحدة متطابقة ، إنما يدل دلالة واضحة على توجيه النص القرآني للمسلمين وغيرهم إلى ضرورة الإيمان العميق بالتعددية العقائدية والسياسية من أجل انفتاح الأفق الفكري والسياسي الإسلامي نحو مزيد من التقبل للآخر المغاير ، وتبادل الألفة والمودة معه ، للتأسيس لفلسفة إسلامية إنسانية في التعايش الاجتماعي .

المطلب الثاني: صور الآخر في السنة النبوية الشريفة: وثيقة المدينة المنورة أنموذجا(٨٣).

تشكل السنة النبوية الشريفة المصدر الثاني للتشريع في الإسلام ، لذا فأن تحديد صور الآخر وفقا للسنة النبوية سيكون أمرا ضروريا ومكملا لبناء الأساس النظري لمبدأ التعايش في الإسلام ، ولأجل أن لا يدخل البحث باب الأتساع المخل ، سيتم إبراز صور الآخر في السنة النبوية الشريفة من خلال التركيز على وثيقة المدينة المنورة كنموذج تحتاج ظروف الواقع الإسلامي الحاضر استحضاره لتعزيز مبدأ التعايش بين التنوعات الاجتماعية المختلفة لتجاوز الفتن والاضطرابات المحتملة، فالوثيقة تمثل أول نص مكتوب بعد القرآن الكريم في التاريخ الإسلامي، أراد له الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يكون إطاراً تنظيمياً للكيان السياسي الإسلامي الناشئ –آنذاك- بعد هجرته المباركة إلى المدينة المنورة (٨٤).

إن تحليل نص الوثيقة مقارنة بالنص القرآني يقود إلى ما يلي :

١- غياب أي ذكر للآخر النوعي (الملائكة والجن) من ثنايا النص، مما يدل على إنه نص عملي واقعي، يتعامل مع الوجود الإنساني الكائن فعلاً، لا المتخيل في الإطار الروحي اللاشعوري.

٢- إن الفقرة الأولى من النص قد حددت الأنا بشكل واضح عندما ورد فيها:"هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم، بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم، وجاهد معهم"(٨٥)، فالجماعة المؤمنة يمثلها المهاجرون والأنصار من المؤمنين والمسلمين، وقد كان عددهم وقت توقيع الوثيقة ١٥٠٠ نسمة(٨٦).

إن الإشارة إلى المؤمنين والمسلمين في سياق الفقرة دلالة عميقة على تأكيد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) على اختلاف مستويات الأنا، مما يجعل النص متوافقا مع النص القرآني في عدم جعل الأنا كتلة بشرية واحدة متطابقة الفضل والدرجة. ثم جاءت الفقرات التالية ابتداء من الفقرة الثانية التي نصت على ".. إنهم أمة واحدة من دون الناس .. (وانتهاء بـالفقرة الخامسة عشر التي نصت على) : وأن ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم ، وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس "(٨٧)، لتعمل على تنظيم الوضع الاجتماعي والسياسي والقانوني لهذه الجماعة.

٣- كما يلاحظ على الوثيقة تركها الإشارة إلى الفئات المهددة للوجود السياسي الاجتماعي للدولة الإسلامية سواء من المنتمين إلى الأنا(المنافقون ، والفاسقون ، والمرتدون) ، أو إلى الآخر الداخلي(أهل الكتاب المحاربون

****

وغيرهم) ، واقتصار الحديث على الآخر الخارجي (قريش أو غيرها)، مما يدل على المستوى المتقدم في التفكير السياسي السليم للقيادة النبوية، التي أرادت من الوثيقة أن تكون وثيقة موادعة مع الآخر الداخلي ، تطمينا له بضمان حقوقه وواجباته من جهة، وتعزيزا لثقة أفراد الجماعة المؤمنة بعضهم بالبعض الآخر من جهة أخرى، لتكون الحصيلة تحصين الجبهة الداخلية للدولة الإسلامية في مواجهة الخطر الخارجي المحدق بها، وجعل نموذج الدولة الذي يبشر به المشروع السياسي الإسلامي مشروعاً جاذباً ومحفزاً للآخرين للانضمام إليه.

من جهة أخرى ، فأن الآخر سيظهر في فقرات الوثيقة من خلال الصور الآتية:

الصورة الأولى: الآخر الداخلي المختلف عقائديا

ينقسم الآخر في هذه الصورة إلى فئتين غير عدائيتين هما :

- اليهود الذين كان عددهم في المدينة المنورة وقت توقيع الوثيقة ٤٠٠٠ نسمة[٨٨]، مثلوا صورة الآخر الداخلي الكتابي المختلف عقائديا مع الجماعة المؤمنة (الأنا)، لكنه يتشارك معها الوجود السياسي في إطار الكيان السياسي للدولة الإسلامية، فأعلن-استناداً إلى الوثيقة- عن قبوله المشروع السياسي للدولة، وحددت فقرات عدة في الوثيقة ماله من حقوق وما عليه من التزامات يقتضيها العيش المشترك والمصالح المتبادلة. وقد ورد ذكر اليهود في الوثيقة ٢١ مرة ، وبصيغ مختلفة ، ابتداء من الفقرة السادسة عشر التي نصت على " .. وانه من تبعنا من يهود فان له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم .."[٨٩] ، لكون الوثيقة موجهة لموادعة اليهود أولا ، ولترسيخ أهمية الاعتراف بوجودهم ، وقبول التعايش معهم ثانيا.

- العرب المشركون، وكان عددهم في المدينة المنورة آنذاك ٤٥٠٠ نسمة[٩٠]، وقد مثلوا صورة الآخر الداخلي الوثني المختلف عقائديا مع الأنا ، ولم يرد ذكرهم في الوثيقة إلا مرة واحدة في سياق الحديث عن اليهود في الفقرة ٢٠ ب التي نصت على : "وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن"[٩١] ، مما يجعل النص مفتوح على أكثر من احتمال : فقد يراد به اليهود كونهم في نظر الإسلام أشركوا في دينهم ، وقد يراد به مطلق المشركين، والاحتمال الثاني أكثر ترجيحا من الأول لكون الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أراد من الوثيقة أن تكون تنظيما قانونيا محكما لكل المكونات الاجتماعية الساكنة في المدينة المنورة آنذاك ، فيدخل ضمن هذه المكونات المشركون الفطريون الذين كانوا يشكلون أكثر هذه المكونات عددا.

الصورة الثانية : الآخر الخارجي المعادي

يشكل الآخر هنا فئتين – أيضا- هما:

- قريش الوارد ذكرهم في الوثيقة بالنص على :"وإنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ..(و) انه لا تجار قريش ولا من نصرها.." [٩٢] ، شكلوا صورة الآخر الخارجي ألآني المعادي للوجود السياسي الإسلامي، والراغب في إنهاء دوره ، مما يجعل الصراع معه صراع مصيري ليس فيه تسامح، طالما بقي على حاله ونواياه وعدائه السافر للدولة الإسلامية، أما إذا رغب في السلم والصلح، فإن الباب مفتوح أمامه .

- إن ظروف العداء الآني مع قريش كآخر خارجي معادي ، لم تمنع القيادة النبوية من امتلاك رؤية إستراتيجية مستقبلية في احتمالية ظهور آخرين خارجيين خطرين على مستقبل الوجود السياسي الإسلامي، كما يفهم ضمنياً من سياق الفقرة التي نصت على:"وإن بينهم (أي الجماعة المؤمنة والآخر الداخلي..) النصر على من دهم يثرب"[٩٣]. فيثرب هنا تمثل الكيان السياسي للدولة – آنذاك- وحماية هذا الكيان لا تقتصر على الجماعة المؤمنة فقط ، بل تقتضي مشاركة جميع أفراد الاجتماع السياسي بصرف النظر عن اعتقاداتهم وأفكارهم السياسية . ويمكن برؤية تحليلية معاصرة توسيع مفهوم الآخر في هذه الفئة ليشمل الآخر الدولي ، والآخر الإقليمي، فتصبح الوثيقة مرتكزا جيدا للبناء الداخلي للدولة- آنذاك- بخلقها الظروف الملائمة لبناء نسيج اجتماعي متجانس

****

قادر على تجاوز التنوعات الثقافية لحساب المصلحة العامة العليا للدولة من جهة ، ومن جهة أخرى رسمت الوثيقة مسار العلاقات الدولية للدولة الإسلامية بجعلها تستند إلى قاعدة عدم العدوان أي كان مصدره.

بناء على ما تقدم ، فأن السنة النبوية الشريفة التي عكستها الوثيقة تنسجم تماما مع النص القرآني في تحديد ماهية الآخر من جانب ، ومن جانب آخر تنطلق من أسس واقعية غير خيالية ، وإنسانية غير متطرفة ، لبناء دولة حقيقية تستوعب كافة تنوعاتها الثقافية بصرف النظر عن معتقدها الفكري- إسلامي ، كتابي ، وثني – وتستطيع بناء السلم الأهلي الداخلي ، ومجابهة العدوان الخارجي.

المبحث الثالث : القيمة الدستوري لوثيقة المدينة وحقوق الآخر فيها .

في هذا المبحث سيجري تحليل وثيقة المدينة من حيث قيمتها الدستورية أولاً ، وطبيعة الحقوق التي منحتها إلى الآخر ثانياً.

المطلب الأول : القيمة الدستورية للوثيقة

إذا كانت نظرية العقد الاجتماعي[٩٤]، واحدة من النظريات المفسرة لنشوء الدولة تاريخياً، فهل ترقى وثيقة المدينة لتكون العقد الاجتماعي الأول للاجتماع السياسي الإسلامي الذي أرسى أسسه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد هجرته المباركة من مكة إلى يثرب؟.

إن الإجابة عن هذا التساؤل بحاجة إلى معالجة الوثيقة من حيث الظرف التاريخي لكتابتها، والقواعد التأسيسية للدولة التي أنتجتها.

أولا : الظرف التاريخي لوضع الوثيقة:-

يذهب السيد شمس الدين (رحمه الله) إلى القول: بأن تاريخ كتابة الوثيقة هو ما قبل معركة بدر الكبرى ، وليس في الأشهر الأولى للهجرة النبوية ".. بعد تبلور شكل المجتمع السياسي الإسلامي في المدينة، ونجاح عملية الدمج الاجتماعي بين المهاجرين والأنصار، واستغراق الإسلام لجميع أهل يثرب، وظهور تصميم النبي (صلى الله عليه واله وسلم) على الدفاع والمقاومة، وبعد ظهور السياسة الدفاعية – العسكرية عند النبي والمسلمين، والتي تجلت في الغزوات والسرايا الأولى، بعد ستة أشهر من هجرة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ، ففي هذه الأشهر الأولى كان اليهود يراقبون التجربة الجديدة ، ويراقبون سياسة المسلمين، ومدى تلاحمهم، وتصميمهم، وقدرتهم العسكرية.. وبعد أن اتضح تماماً لليهود نجاح التجربة، واجتيازها امتحان القوة والصمود أمام الواقع القبلي المحلي الأوسي – الخزرجي ، وامتحان التحدي أمام قريش وتحالفاتها، وأدركوا أن المستقبل هو للإسلام، تخلوا عن تحفظاتهم، ورأوا أن مصلحتهم هي في الدخول في بنية المجتمع الجديد، وإظهار الاندماج فيه، ليحاولوا تقويضه من الداخل بعد أن يتمكنوا من التغلغل في ثنايا تركيبه الاجتماعي – السياسي[٩٥]، نتيجة لكونهم جزءاً منه، وقد استجاب النبي (صلى الله عليه واله وسلم) لرغبتهم المعلنة بالاندماج في هذا المجتمع.."[٩٦]، من خلال وضع الوثيقة.

إن هذا التحليل لتاريخ وضع الوثيقة منسجم مع رؤية هذه الدراسة، التي لا تتفق مع ما ذهب إليه السيد حسن السعيد عندما رأى أن الوثيقة وضعت بداية وصول الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) إلى المدينة[٩٧]، يؤيد ذلك أن ابن هشام في سيرته النبوية المعروفة، وهو أول من نقل النص كاملاً عن الراوية الشهير ابن إسحاق (ت١٥١)، يقول عنها:" قال ابن إسحاق: وكتب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كتاباً بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم وأشترط عليهم.."[٩٨]. إذا لم يكن الدافع لكتابة الوثيقة هو تنظيم أمور المسلمين (مهاجرين وأنصار) فقط بحيث يمكن وضع بنودها بمجرد وصول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة المنورة ، بل الدافع – أيضا- هو تنظيم الحياة السياسية والاجتماعية

****
والاقتصادية لغير المسلمين ، فضلا عن تنظيم علاقتهم مع المسلمين ، وهذا لا يكون إلا بعد أن ثبت المسلمون وجودهم في المجتمع الجديد ، وأعطوا الدلائل على نجاح مشروعهم السياسي وهذا الأمر يستغرق وقتا لانجازه .

لقد دفعت هذه الحقيقة مفتي الديار المصرية السابق إلى القول:" .. فحين هاجر الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة وجد فيها عقائد مختلفة ، وقبائل شتى ، تشكلت بعد استقراره إلى فئات ثلاث في ذلك المجتمع الجديد هم : المسلمون ، واليهود، والعرب المشركون ، ويتألف المسلمون من المهاجرين والأنصار الذين يتألفون بدورهم من الأوس والخزرج ، وهو ما يمثل نسيجا غريبا ومخالفا لتقاليد العرب وأعرافهم في ذلك الوقت في الجزيرة العربية . وفي ظل ذلك التنوع ، أراد (صلى الله عليه وسلم) أن يؤسس دولة قوية يسودها السلام والتعاون والمشاركة بين جميع أطيافها على مختلف مشاربهم ، ومن هنا جاءت وثيقة المدينة كأول دستور للدولة المدنية في العالم ، يحدد ملامح دولة الإسلام الجديدة ، ولا يفرق بين مواطنيها من حيث اللون أو العرق أو الجنس .."[٩٩]

ثانيا: القواعد التأسيسية للدولة في ضوء الوثيقة:-

إن الوثيقة شكلت عقداً اجتماعياً للدولة الإسلامية –الناشئة- في المدينة، ولكي يتضح ذلك بصورة جلية وواضحة ، سوف يتم التطرق إلى القواعد التأسيسية للدولة المستوحاة من هذا العقد، والتي تمثلت فيما يلي:

١- مفهوم الأمة.

عملت وثيقة المدينة على إزالة الغموض حول مفهوم الأمة، فقد حددت تصورين لهذا المفهوم: الأول ضيق قائم على الانتماء الديني، والثاني واسع قائم على الانتماء السياسي. فالأمة في الإطار الديني مثلتها الجماعة المؤمنة من خلال النص في الوثيقة على :".. هذا كتاب من محمد النبي (صلى الله عليه وسلم) بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم إنهم أمة واحدة من دون الناس .." [١٠٠]، وهذه الأمة قابلة للتوسع بقبول آخرين للمشروع السياسي والعقائدي للدولة الإسلامية، كما يتضح من عبارة : ".. ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم.."، مما يعطي للمفهوم ديناميكية تمنحه جاذبية وقبولاً.

وفهم الأمة بهذا الشكل، قاد إلى تجاوز الروابط الأسرية والقبلية التي اعترف بها الإسلام ، وأعطاها حيزاً في تشريعه، وفي تشكيل مجتمعه الأهلي من خلال التشريع السياسي، وتشكيل المجتمع السياسي الإسلامي، نعم أبقى الإسلام على التجمعات القبلية والعشائرية، وأعتبرها أطراً للتعاون الأسري والإنساني، والتماسك الاجتماعي، لكنه أفرغها من مضمونها السياسي، ولم يعطها –في الغالب- شخصية إدارية متميزة ، لذا فإنها في المجال السياسي الحقوقي، والواجبات العامة، لا تسبغ على المنتمي إليها أي امتياز، كما لا يحمله انتماءه إلى العشيرة أية تبعه بسبب ما يرتكبه شخص آخر من تلك العشيرة من جرائم كما يتضح من الفقرات[١٠١]. لا شك إن هذه النظرة إلى دور المجتمع الأهلي وروابطه في إطار المجتمع السياسي تشكل مستوى متقدماً في الفهم السياسي تعجز عن الوصول إليه كثير من النظم السياسية في عالمنا الإسلامي المعاصر.

أما الأمة بمفهومها السياسي الواسع، فتتسع لتشمل أكثر من جماعة دينية واحدة، مما يجعل المجتمع الإسلامي سياسياً متكون من فئات عدة لها انتماءات دينية مختلفة، كما وضحت ذلك الفقرة (٢٥) التي نصت على :"وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.."[١٠٢]، وهذا النص بسياقه السياسي جعل المواطنة ركيزة مهمة من ركائز المجتمع السياسي الإسلامي، قد تتساوى مع الانتماء الديني حين يكون المجتمع السياسي كله ذا انتماء ديني واحد، فيتحد في الخارج المعاش، مفهوم الأمة مع مفهوم الوطن، والدولة، والمواطنة، وقد لا تتحد هذه المفاهيم في مصداق واحد، فتكون أمتان أو أكثر في الانتماء الديني في وطن واحد، ومجتمع سياسي واحد، ودولة واحدة، فالأمة الواحدة في المعنى السياسي التنظيمي للوثيقة، تشكل مجتمعا سياسياً واحداً، مكوناً من أمتين من حيث الانتماء الديني[١٠٣]. وقد يتكون من أكثر من أمتين في بعض الأحيان .

****

٢- القيادة السياسية العليا في الدولة.

حددت الوثيقة الجهة التي تمثل القيادة العليا في الدولة الإسلامية –آنذاك- من خلال النص على قيادة النبي (صلى الله عليه واله وسلم) للأمة السياسية، ورئاسته للدولة، ومرجعيته لها، من خلال الفقرة الأولى التي نصت على :"هذا كتاب من محمد، النبي، رسول الله، بين المؤمنين والمسلمين.."، والفقرة (٢٣) التي نصت على :"وإنكم مهما اختلفتم فيه من شيء، فإن مرده إلى الله عز وجل والى محمد (صلى الله عليه وسلم).."، يؤيد ذلك الفقرة (٣٦) التي نصت على :" وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن (محمد صلى الله عليه وسلم).." ، والفقرة (٤٢) التي نصت على:" وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فان مرده إلى الله عز وجل والى محمد رسول الله .." [١٠٤]. وتحديد القيادة العليا، من الأمور الحيوية التي لابد أن تنص عليها المواثيق الدستورية، وعدم إغفال ذلك في نص الوثيقة يعزز قيمتها الدستورية المهمة.

٣- نطاق سيادة الدولة (حدودها الجغرافية).

نصت الوثيقة في الفقرة (٣٩) على:"وإن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة"، والفقرة (٣٦) التي نصت على:"أن لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد.."، والفقرة (٤٧) التي نصت على:".. إنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم.."، ويستفاد من النصوص المتقدمة على أن ثمة مكاناً محدداً تسري فيه أحكام الوثيقة، له حدوده المعلومة، التي يكون تجاوزها خروجاً عن هذا المكان، وعدم تجاوزها قعودا فيه، وإن الدولة الإسلامية –آنذاك- لها أرض ضمن حدود، والانتماء إلى مجتمعها السياسي، يكون بالانتماء إلى هذه الأرض، وقوانينها وأوامرها السياسية نافذة المفعول على أرضها، وضمن حدودها، وعلى المنتمين إليها دون غيرهم، وإن كانوا مسلمين. وحدود هذه الدولة قابلة للتوسع والامتداد، بانضمام آخرين إلى مشروعها السياسي والعقائدي، ويدل على تحديد النطاق الجغرافي للدولة، قيام الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) بإرسال بعض أصحابه لبناء أعلام تحدد حدود الدولة من الجهات الأربع[١٠٥].

٤- تنظيم الحقوق والحريات ومتطلبات الأمن

حرص الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) من خلال وضع الوثيقة على تنظيم الحقوق والحريات ومتطلبات الأمن في الدولة الإسلامية –آنذاك- وفق الظروف والمعطيات الحاكمة للمجتمع السياسي، لذا نجد أن الفقرات (٣-٢٢) التي بدأت بعبارة:" المهاجرون من قريش على ربعتهم يتعاقلون بينهم .." ، وانتهت بعبارة:" وأنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا(مجرما) ولا يؤويه ، وأن من نصره أو آواه فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل"[١٠٦] قد عملت على تنظيم الحقوق والحريات للمسلمين. أما الفقرات (٢٥-٣٦ب) التي بدأت بعبارة :".. وان يهود بني عوف أمة مع المؤمنين .." ، وانتهت بعبارة:".. وانه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته إلا من ظلم ، وان الله على أبر هذا.."[١٠٧]، فنظمت الحقوق والحريات لليهود. في حين نظمت الفقرات (٣٧-٤٥) التي بدأت بعبارة:" وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم.." ، وانتهت بعبارة:" وإذا دعوا إلى صلح يصالحونه ويلبسونه فإنهم يصالحونه ويلبسونه ، وإنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك ، فانه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين"[١٠٨] متطلبات العيش المشترك بين أفراد المجتمع السياسي للدولة ، لحماية المجتمع بكافة مكوناته ، ومواجهة التحديات الخارجية.

إن الظرف التاريخي الخاص لوضع الوثيقة، والقواعد التأسيسية المستوحاة من فقراتها تجعلها ترقى إلى أن تكون من أهم الوثائق الدستورية في تاريخ المسلمين، بل هي بحق الدستور السياسي الأول لدولة إسلامية حرصت قيادتها السياسية النبوية على جعلها مستوعبة لكل مكوناتها الاجتماعية بصرف النظر عن أطيافها الثقافية.

***

المطلب الثاني: حقوق الآخر في الوثيقة

إن حقوق الآخر مشتقة من مفردة أكبر هي حقوق الإنسان ، وحقوق الإنسان يمكن تعريفها بأنها" مجموعة الحقوق الطبيعية التي يمتلكها الإنسان واللصيقة بطبيعته والتي تظل موجودة وان لم يتم الاعتراف بها ، بل أكثر من ذلك حتى إن انتهكت من سلطة ما "[١٠٩]، أو أنها" الحقوق اللصيقة بالإنسان والمستمدة من تكريم الله وتفضيله على سائر مخلوقاته والتي تبلورت عبر تراكم تاريخي من خلال الشرائع والأعراف والقوانين الداخلية والدولية ومنها تستمد وعليها تبنى حقوق الجماعات الإنسانية في مستوياتها المختلفة شعوبا وأمما ودولا "[١١٠]. فحقوق الإنسان هي " تلك الحقوق التي تتعلق بالإنسان بوصفه إنسانا ، من دون اعتبار لجنسيته أو جنسه أو ديانته أو أصله العرقي أو وضعه الاجتماعي والاقتصادي"[١١١]، ويشكل الإقرار بهذه الحقوق الأساس لأي تعامل متمدن بين الجماعات المختلفة يحول دون انتهاك كرامتها الإنسانية ، لينعكس بصورة سلوك حضاري يربطها ايجابيا ببعضها في إطار المجتمع السياسي القائم[١١٢].

لقد ذهبت وثيقة المدينة المنورة وفقا لظروف الواقع المحلي والدولي للكيان السياسي الذي تمثله الدولة آنذاك ، إلى الاعتراف للآخر بجملة من الحقوق الإنسانية المهمة ومنها :

١- الحق في المواطنة

تعد المواطنة حقا أساسيا من حقوق الإنسان تفرضه ظروف الانتماء السياسي للدولة الحديثة ويقتضي ترسيخه شروطا معينة منها: [١١٣]

- تغليب الانتماء إلى الوطن على أي انتماء سياسي آخر.
- النظر إلى أعضاء الدولة على أساس أنهم كائنات عاقلة حرة قادرة على تحمل المسؤولية السياسية.
- المساواة بين الناس في الكرامة الإنسانية وأمام القانون.
- حصر سلطة الدولة في نطاق الخير العام المشترك لمواطنيها.
- وجود اهتمام متوازي بحقوق المواطن وواجباته من جهة ، وحقوق الدولة وواجباتها من جهة أخرى.
- التطوير المستمر لمحتوى نظام الحقوق والواجبات المتبادلة بين الدولة ومواطنيها.

والفهم السياسي للأمة بإطارها الواسع في الوثيقة فسح المجال رحبا للاعتراف بحق المواطنة كحق أصيل من حقوق الآخر الداخلي، طالما يلتزم بالمشروع السياسي للدولة ، ويعمل سياسياً من خلال كيانها، بصرف النظر عن الديانة التي يعتنقها ، مع ترك الباب مفتوحاً لانضمام تنوعات ثقافية أخرى للتمتع بهذا الحق بلحاظ ما ورد في الفقرة (١) التي ورد فيها ".. ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم " والفقرة (٢٥) التي نصت على " وأن يهود بني عوف امة مع المؤمنين .." ، ويدل ذلك على ".. إن الإسلام يقبل فكرة تأسيس مجتمع سياسي متنوع في دولة واحدة، ونظام حكم واحد، على أساس الإسلام، يتمتع الجميع فيها بحق المواطنة الكاملة، ولا يشترط لإقامة الدولة أن تكون لمجتمع إسلامي نقي خالص"[١١٤]. وقد أقر بتبني وثيقة المدينة لحق الآخر في المواطنة جملة من الفقهاء والمفكرين المسلمين[١١٥].

٢- الحق في حرية الاعتقاد

حرية الاعتقاد هي واحدة من حقوق الإنسان الأساسية التي يجب احترامها وتقديسها، وتحريم المساس بها من قبل أي كان، فجاءت الوثيقة لتؤكد على هذه الحرية في الفقرة (٢٥) بالنص على: ".. لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وإثم.."[١١٦]، وثبتت الفقرات (٢٦-٣٥) هذا الأمر، ليكون إقرار الحق في حرية الاعتقاد دافعاً إلى تعميق الهوية السياسية الواحدة للمجتمع بصرف النظر عن تنوعه الثقافي، "فقد ترك عقد الصحيفة (الوثيقة) لليهود أن يباشروا عقائدهم الدينية اليهودية بحرية مطلقة على بعد عدة أمتار من المسجد النبوي لأن يهود بني قينقاع كانوا يعيشون داخل المدينة ذاتها.."[١١٧].

***

٣- الحق في المشاركة السياسية

يستدل على هذا الحق من خلال ما ورد في الفقرة (٣٧) من الوثيقة التي نصت على:" وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم"[١١٨]، وهذا النص في مضمونه ينطوي على أمور عدة منها:

أ. الاستقلال المالي لأفراد المجتمع السياسي الإسلامي بصرف النظر عن ديانتهم.

ب. مسؤولية الدفاع عن الكيان السياسي للمجتمع مسؤولية جميع أفراده بكل انتماءاتهم الثقافية، وكل حسب دوره.

ج. النصح والنصيحة الوارد في الفقرة، يمكن أن يذهب إلى ما يسميه الفكر الإسلامي بالمشورة أو التشاور، أو ما يسميه الفكر الديمقراطي بالمشاركة السياسية لتحديد أسلم السبل لإدارة الدولة، ومواجهة التحديات التي تعصف بها سواء أكانت داخلية أو خارجية، على أن يكون محور المشاركة السياسية هو العمل الصالح. وهذا لا يعني أنه ليست هناك ثمة اختلافات معينة بين طبيعة المشاركة المشار إليها في الوثيقة ، والمشاركة كما يفهمها الفكر الليبرالي المعاصر ، لكن وجود الاختلاف لا يقلل من قيمة الوثيقة .

٤- المسؤولية الشخصية عن الجرائم والعقوبات

لقد تجاوز نص الوثيقة الإطار الثقافي للمجتمع الأهلي القائم –آنذاك- ذلك المجتمع الذي يجعل المسؤولية عن الجريمة التي يرتكبها شخص ما مسؤولية جماعية تلحق بأفراد عائلته وعشيرته، وربما قبيلته، من خلال جعل المسؤولية عن الجرائم والعقوبات مسؤولية شخصية، ترسيخاً للمبدأ الإسلامي القائل:" أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى "[١١٩]، وقد أعطت الوثيقة هذه الضمانة إلى الآخر الداخلي من خلال ما جاء في ذيل الفقرة (٢٥): ".. إلا من ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ (أي لا يهلك) إلا نفسه وأهل بيته"، وأكدتها الفقرة (٣٦ب) بالنص على: ".. وإنه من فتك فبنفسه فتك وأهل بيته.."، والفقرة (٤٦) بالنص على: "..لا يكسب كاسب إلا على نفسه.."[١٢٠]. وهذا يدل على إن الوثيقة تعد تنظيماً قانونياً حرص واضعها على تجاوز عيوب الواقع الاجتماعي والسياسي القائم، لتأسيس واقع جديد على أنقاضه يحترم حقوق الناس، ويحمل المسؤولية عن الجرائم والعقوبات الأشخاص الذين يشكلون –حقاً- تهديداً للمجتمع السياسي.

٥- الحق في حرية التنقل

نصت الوثيقة على هذا الحق في الفقرة (٣٦) التي جاء فيها: "وإنه لا يخرج منهم (أي اليهود) أحد إلا بإذن محمد (صلى الله عليه وسلم)"[١٢١]، والاشتراط على إذن الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) لا غبار عليه، لأنه يمثل القيادة السياسية العليا في الدولة، فعلى الرغم من اختلاف الظروف والثقافة بين عصر الرسول والوقت الحاضر، نجد الدول –اليوم- تنظم عملية الدخول والخروج إلى أراضيها من خلال إصدار الجوازات وسن القوانين واللوائح التنظيمية المختلفة، والشرط في الفقرة شرط تنظيمي أكثر منه تقييدي لحرية التنقل هذا من جانب، ومن جانب آخر نجد السيد محمد مهدي شمس الدين(رحمه الله) يضيف احتمال آخر غير مستبعد لهذا الشرط مرتبط بالظروف الأمنية والعسكرية التي كانت تواجه دولة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ".. فهو إجراء أمني قد يراد به التحفظ على علاقاتهم (أي اليهود) الخفية مع المحيط المعادي، وقد يراد منه –مع ذلك- حفظهم من وقوع الاعتداء عليهم بسبب تعاقدهم مع المسلمين في المجتمع الجديد"[١٢٢] ، كما أشارت إلى هذا الحق الفقرة (٤٧) عندما نصت على: ".. وإنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم وأثم.."[١٢٣]، والشرط الوارد في الفقرة حسب ما يراه أحد الباحثين، شرط أجنبي عنها بلحاظ استعمال كلمة "المدينة" بدلاً من "يثرب"، مما يوقع الشك في احتمال إقحامه على النص في مرحلة تاريخية لاحقة، لكن النتيجة المستحصلة من هاتين الفقرتين هي: أن حق الآخر في حرية التنقل من الحقوق المحترمة والمعترف بها في الوثيقة[١٢٤].

****

إن الإقرار بهذه الحقوق الإنسانية المهمة للآخر في وثيقة المدينة يمثل علامة مضيئة على البعد الإنساني للإسلام ، واتساع أفق التشريع في هذا الدين لبناء كيان سياسي إسلامي مدني يعزز مبدأ التعايش بين أعضائه على اختلاف معتقداتهم الدينية ، ومشاربهم الفكرية ، وانتماءاتهم الاثنية، فيجنبهم الانزلاق إلى شرك العنف والتطرف والاحتراب المجتمعي.

الاستنتاجات والتوصيات.

أولا: الاستنتاجات

يخلص من خلال البحث إلى جملة من الاستنتاجات وكما يلي :

- قاد التقارب السريع والمستمر في الوقت الحاضر للحضارات والثقافات البشرية المتنوعة بفعل التطورات التقنية ، وزيادة أعداد البشر إلى تصاعد وتيرة الاحتكاك بينها بشكل أدى في كثير من الأحيان إلى صراعات مدمرة غذتها نزعات الدفاع عن الهوية الذاتية التي فرضتها تحديات العولمة بمختلف أشكالها . وهذا الواقع يستدعي تبني مبدأ التعايش كسبيل لمعالجة مشكلة التنوع على المستوى الوطني والمستوى الدولي لان التعايش يعد فضيلة من أسمى الفضائل المدنية التي تنزع فتيل الصراعات وتخلق الانسجام الاجتماعي من خلال ما تفرضه من ألفة ومحبة بين الناس.
- تشكل الأديان في مطلع الألفية الثالثة ، مصدرا مهما من مصادر تأجيج الصراعات ، وتعقيد مشكلة التنوع ، بفعل بعض الاجتهادات والرؤى المغلوطة ، وهذا الأمر يتنافى مع الهدف الأسمى للأديان، فالتعايش هو المبدأ الذي تنادي به كل الأديان الصحيحة ومنها الدين الإسلامي ، وقيمة هذا المبدأ في الإسلام هو انه لا يأتي لتجاوز مرحلة ما بعد الصراعات والنزاعات بين الجماعات المختلفة ، بل هو يلغي من الأساس أسبابها عندما يجعل من التنوع والاختلاف سنة إلهية محترمة ، تقتضي التعاون والمحبة والقبول والاحترام المتبادل بين المختلفين .
- إن الاختلاف بين البشر ، من حيث الأمزجة والطباع والاعتقادات والرغبات والأفكار والقدرات الذهنية والمادية ، اقره الإسلام من خلال كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وآله، وهذا الاختلاف تطلب وضع أسس تنظيمية لمعالجة مشكلة التنوع والاختلاف في التاريخ الإسلامي ، فكانت وثيقة المدينة المنورة أول نص مكتوب بعد القرآن الكريم في التاريخ الإسلامي يرسخ ويعزز التعايش بين المسلمين وغيرهم .
- إن وثيقة المدينة بما انطوت عليه من فقرات ضمت في ثناياها الكثير من الأحكام التي تؤسس لعلاقة ايجابية وغير مأزومة مع الآخر، تشكل انطلاقة جيدة لفكر سياسي إسلامي معاصر يحترم التنوع الثقافي، ويعزز مبدأ التعايش السلمي بين الثقافات المختلفة، تمهيداً لفسح المجال رحباً لبناء دولة مدنية إسلامية تضاهي وتتفوق على غيرها من تجارب الحكم والإدارة في العالم المعاصر، وهي جديرة بالتأمل والملاحظة والتحليل لتضمين دلالاتها في النصوص الدستورية الإسلامية المعاصرة.

ثانيا : التوصيات

من التوصيات التي يمكن الخروج بها من البحث ما يلي :

- الدعوة إلى إعادة الاعتبار لكثير من النصوص الإسلامية التي تبني لعلاقة ايجابية مع الآخر تكون مرتكزا لمجتمع مدني إسلامي مستنير ، كوثيقة المدينة المنورة ، وصلح الحديبية ، وعهد الرسول صلى الله عليه وآله لنصارى نجران ، وعهد الإمام علي عليه السلام لمالك الأشتر .. فضلا عن النص القرآني الذي يمثل دستور الهي رفيع لمجتمع أنساني محفوظ الكرامة والحقوق .

****

- الدعوة إلى إعادة النظر في كثير من الاجتهادات والفتاوى القديمة والمعاصرة ، والتي كانت سببا في تأزم العلاقة بين الطوائف والمذاهب الإسلامية من جانب أو بين المسلمين وغير المسلمين من جانب آخر، آخذين بالاعتبار مقتضيات الزمان والمكان ، وتفعيل أحكام المصالح والمفاسد ، ودرأ الحدود بالشبهات وغيرها .

- الدعوة إلى تأسيس فقه أسلامي يكون لكل المسلمين ، لا فقه طائفي أو مذهبي معزول بعضه عن البعض الآخر أو يناقض بعضه بعضا ، من خلال تشكيل منابر فقهية إسلامية في كل بلد إسلامي تمثل جميع المذاهب الإسلامية هدفها وحدة الخطاب الإفتائي ، على أن يكون خطابا إنسانيا لا يضيع الحقوق ، ولا يبتدع أحكاما تتبع الهوى وتخــالف الشرع .

- الدعوة إلى إعادة تفسير آيات الجهاد والحرب والقتال في القرآن الكريم بما يتناسب مع مقتضيات العصر ، بشكل يقطع الطريق على كثير من المتطرفين من أنصاف المتعلمين الذين يستغلون النص المقدس لانتهاك المحرمات المقدسة، وتشويه صورة الدين.

- الدعوة إلى تشكيل تكتل إسلامي من المفكرين والفقهاء وصناع القرار ومؤسسات المجتمع المدني الإسلامية ، هدفه التبشير بإقامة مجتمع مدني إسلامي ، مرتكزا على قواعد شرعية متينة ، ويملك القدرة على بناء دولة مدنية إسلامية ، تعيد ثقة المسلمين بدينهم الحنيف .

الهوامش .

---

(١) مارك غوبين ، الدين كعامل مساعد وكمعيق للعمل من أجل التعايش بعد الخروج من النزاع ، بحث منشور في كتاب تخيل التعايش معا ، تحرير أنطونيا تشايز ومارثا ميناو، ترجمة فؤاد السروجي ، ط ١ ، عمان – الأردن ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦ ، ص ٣٢٨.

(٢) نقلا عن :
مصدق الجليدي ، الإسلام والحداثة السياسية : بناء العلمانية والديمقراطية وحقوق الإنسان ، ط ١ ، بيروت ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ٢٠١٠ ، ص ١٣٣.

(٣) لأدراك أهمية هذه الفضائل الأخلاقية في بناء الدولة المدنية انظر :
ستيفن ديلو وتيموثي ديل ، التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني ، ترجمة ربيع وهبة ، ط١ ، القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٠ ، ص ص ٥٩ – ٦٤ .

(٤) نقلا عن :
زهير خويلدي ، الأنا وجه لوجه مع الآخر أو ليفناس فيلسوف الغيرية ، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني : www.alfalsafa.com

(٥)ساداكوأوغاتا،تخيل التعايش معا في المجتمعات المتنازعة،تقديم منشورفي كتاب تخيل التعايش معا،تحرير أنطونيا تشايز ومارثا ميناو،ترجمة فؤاد السروجي،ط١،عمان – الأردن،الأهلية للنشروالتوزيع، ٢٠٠٦ ،ص ١١

(٦) المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

(٧) إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ط٢،استانبول، دار الدعوة ، ١٩٨٩، ص ص ٨– ٩ .

(٨) أنطوان نعمة وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط١، بيروت، دار المشرق، ٢٠٠٠، ص١١. وللمزيد راجع:
محمد بن أبي بكر الرازي،مختار الصحاح ،بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،١٩٨١ ، ص ص٩-١٠.
سميح عاطف الزين ، معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ، بيروت ، الدار الأفريقية العربية ، ٢٠٠١ ، ص٥٢.

****

[٩] أنظر للمزيد :
هاشم حسن هاشم السوداني ، مفهوم الآخر ، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الإلكتروني: www.arabic.alshahid.net.
[١٠] سورة البقرة : ١٧٣ .
[١١] أنظر للمزيد :
محمد عابد الجابري ، الأنا والآخر أو مسألة الغيرية ، بحث منشور في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني : www.alfalsafa.com
[١٢] أنظر للمزيد :
محمد عابد الجابري ، مفهوم الغيرية بين الغرب والإسلام ، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات على الموقع الالكتروني : www.alittihad.ae
[١٣] أنظر للمزيد :
الآخر فلسفة ، مقال منشور في موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني : www.ar.wikipedia.org
[١٤] أنظر للمزيد :
هاشم حسن هاشم السوداني ، مصدر سابق
[١٥] زكي الميلاد ، مفهوم الآخر بين المعنى السلبي والمعنى الايجابي ، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني : www.annabaa.org
[١٦] أنظر للمزيد :
حسين جمعه ، مفهوم الآخر ، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني : www.social.subject-line.com
[١٧] أنظر للمزيد :
محمد عابد الجابري ، الأنا والآخر أو مسألة الغيرية ، مصدر سابق.
[١٨] أنظر للمزيد :
المصدر نفسه
كرستيان فان نيسبن ، مفهوم الآخر في المسيحية ، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني : www.coptcatholic.net
[١٩] أنظر للمزيد :
زكي الميلاد ، مصدر سابق .
[٢٠] سورة هود : ١١٨-١١٩ .
[٢١] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ط١٥ ، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨٨ ، ص ١٩٣٣ .
وانظر للمزيد :
محمد بن المرتضى الملقب بالفيض الكاشاني ، كتاب الصافي في تفسير القرآن ، المجلد الأول ، طهران ، المكتبة الإسلامية ، بلا تاريخ نشر ، ص ص ٨١٧-٨١٨ .
محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق احمد حبيب قصير ألعاملي ، ط١ ، المجلد السادس ، طهران ، مكتب الإعلام الإسلامي ،(١٩٨٧)، ص ص ٨٣-٨٦ .
[٢٢] محمد جواد مغنية ،التفسير الكاشف ، المجلد الرابع ، ط٣ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨١، ص ٢٧٩ .

(٢٣) محمد جواد مغنية ، مصدر سابق ، المجلد الأول ، ص ٣١٨ .
(٢٤) أنظر للمزيد:
أنطوان نعمه وآخرون ، مصدر سابق ، ص ص ١٠٣٩ – ١٠٤٠ .
إبراهيم مصطفى وآخرون ، مصدر سابق ، ص ص ٦٣٩ -٦٤٠ .
(٢٥) سفن م . سبينجيمان ، ثمن الحرية الخفي : تأطير عراقيل التعايش الاقتصادي ، بحث منشور في كتاب تخيل التعايش معا ، تحرير أنطونيا تشايز ومارثا ميناو ، ترجمة فؤاد السروجي ، ط١ ، عمان- الأردن ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦ ، ص ١٨١ .
(٢٦) انظر للمزيد :
أنيله أفضالي ولورا كوليتون ، بناء التعايش : مسح لمشاريع التعايش في مناطق النزاعات العرقية ، بحث منشور في كتاب تخيل التعايش معا ، تحرير أنطونيا تشايز ومارثا ميناو ، ترجمة فؤاد السروجي ، ط١ ، عمان – الأردن ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦ ، ص ٢٩ .
(٢٧) سلمان العودة ، مفهوم التعايش بين المسلمين وغير المسلمين ، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني : www.al3nabi.com
(٢٨) المصدر نفسه .
(٢٩) المصدر نفسه .
(٣٠) سورة الحاقة : ٢١.
(٣١) سورة القصص : ٥٨ .
(٣٢) سورة الزخرف : ٣٢ .
(٣٣) سورة الأعراف : ١٠ .
(٣٤) سورة طه : ١٢٤ .
(٣٥) سورة الحجرات : ١٣.
(٣٦) سيد قطب ، مصدر سابق ، المجلد السادس ، ص ٣٣٤٨.
(٣٧) محمد جواد مغنية ، مصدر سابق ، المجلد السابع ، ص ١٢٤.
(٣٨) أنظر للمزيد :
حسن السعيد ، الإسلام والرأي الآخر: تجربة الإمام علي نموذجاً ، بيروت ، دار ألعمادي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣، ص ص٤٥-٤٦.
(٣٩) المصدر نفسه، ص ص٤٧-٤٨.
(٤٠) يقول الدكتور محمد عابد الجابري في تحديده المقصود بدار الإسلام ودار الحرب ما يلي :"دار الحرب عبارة تطلق على بلاد المشركين الذين لا صلح بينهم وبين المسلمين ، سواء كانوا في الجزيرة العربية أو في الشرق أو في الغرب أو في الشمال أو في الجنوب ، كما تطلق عبارة دار الإسلام على بلاد المسلمين أينما كانوا ، وهي دار سلام لا يجوز التحارب فيها إلا إذا تعلق الأمر بقتال المحاربين وهم قطاع الطرق الخارجين عن النظام العام الذين يعتدون على أرواح الناس وأموالهم . وليس لهذا التصنيف أية دلالة إيديولوجية أو سياسية معينة يجعل معنى دار الحرب ينصرف بالتحديد إلى أوروبا أو إلى المسيحية دون غيرهما ، كما يفهم من ذلك كثير من المستشرقين الذين يستعيدون اليوم هذا التصنيف لتكريس وهم الصراع الأبدي بين الإسلام والغرب . إن دار الحرب اصطلاح يطلق في وقت من الأوقات على الجهة التي تكون ، في ذلك الوقت ، في حالة حرب مع الدولة الإسلامية ، سواء كانت

تلك الجهة في الغرب أو في الشرق ، نصرانية أو غير نصرانية ، وسواء كانت هذه الدولة الإسلامية في المشرق أو في المغرب.. "
وللمزيد أنظر:
محمد عابد الجابري ، الأنا والآخر أو مسألة الغيرية ، مصدر سابق .
(٤١) أنظر للمزيد:
حسن السعيد ، مصدر سابق ، ص ص٤٨- ٧٨.
(٤٢) كما هو الحال في الموقف من اليهود حيث يجعلهم الكاتب مع الآخر الخارجي مرة ومرة أخرى مع الآخر الداخلي. وللمزيد أنظر:
المصدر نفسه، ص٦٣ وما بعدها.
(٤٣) لقد ورد ذكر الملائكة في القرآن الكريم ما يقارب ٧٤ مرة ، أما الجن فقد ورد بألفاظ "الشيطان" و"إبليس" و " والجان" و "الجن" ١٢٠ مرة .
(٤٤) لقد وردت كلمة "الناس" في القرآن الكريم ما يقارب ١٩١ مرة ، و"بني آدم" خمس مرات ، و"الإنسان" ٦٨ مرة ، و"الإنس" ١٢ مرة.
(٤٥) سورة النساء:١
(٤٦) سورة الإسراء: ٧٠
(٤٧) سورة المؤمنون:١٢
(٤٨) سورة البقرة: ٣٤ -٣٨. راجع حول نفس المضمون: سورة الحجر:٢٧-٤٠ ، سورة الإسراء:٦١-٦٥ ، سورة الكهف: ٥٠ ، سورة ص ٧١-٨٣ ، سورة طه:١١٦-١٢٣.
(٤٩) سورة الإنعام: ١٠٠
(٥٠) سورة الإنعام: ١٣٠
(٥١) سورة الحجر: ٢٧
(٥٢) سورة الإنعام: ٨
(٥٣) سورة الجن: ١-١١
(٥٤) سورة البقرة: ٢٦٨
(٥٥) سورة آل عمران: ١٧٥
(٥٦) سورة فاطر: ٦
(٥٧) لقد ورد ذكر هذه الألفاظ في القرآن أكثر من ١٢٠ مرة .
(٥٨) لاحظ أن هذه التقسيمات للأنا تقتصر على ما ورد في القرآن الكريم فقط ، أما عند ربط الموضوع بالواقع الإسلامي المعاصر فستكون الصورة أكثر تعقيدا ببروز تقسيمات أخرى : سنة ، شيعة ، سلفية .. فضلا عن التشعبات الثانوية الكثيرة لكل مذهب .
(٥٩) سورة التوبة : ١٠٠
(٦٠) سورة النساء : ٩٥
(٦١) سورة الحجرات : ١٤
(٦٢) ١سورة التوبة : ١٠٢
(٦٣) سورة التوبة : ١٠٦
(٦٤) سورة آل عمران: ١٥٥

(٦٥) سورة آل عمران : ١٦٧
(٦٦) سورة الأنفال : ٤٩ . وأنظر للمزيد: سورة النساء: ١٣٨و ١٤٢ -١٣٤، سورة الأحزاب: ١٢- ١٦، سورة المنافقون : ١-١١
(٦٧) سورة النور:٥٥
(٦٨) سورة السجدة:١٨.
(٦٩) سورة المائدة:٥٤
(٧٠) سورة آل عمران:٦٩
(٧١) سورة آل عمران: ٧٢
(٧٢) سورة آل عمران ١٠٠
(٧٣) سورة آل عمران: ١١٣-١١٤
(٧٤) سورة آل عمران: ١٩٩ . وانظر أيضاً: سورة النساء:١٥٩
(٧٥) سورة لقمان: ١٥
(٧٦) سورة العنكبوت: ٨
(٧٧) سورة الأنفال: ١٥
(٧٨) سورة الأنفال: ٣٩
(٧٩) سورة الممتحنة: ٩ . وانظر أيضاً: سورة البقرة: ١٩٠، سورة التوبة: ٥ و١٣-١٥.
(٨٠) سورة النساء: ٩٠
(٨١) سورة الممتحنة: ٨
(٨٢) سورة الروم: ٢-٥
(٨٣) إن وثيقة المدينة هي معاهدة أو عقد ابرمه الرسول صلى الله عليه وآله بعد فترة من هجرته المباركة إلى المدينة المنورة بين المهاجرين والأنصار من جهة ، واليهود من جهة أخرى ، وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم أي حدد حقوقهم واشترط عليهم أي حدد واجباتهم ، وقد أطلقت على الوثيقة تسميات عدة منها: الكتاب لكون نص الوثيقة ذكر هذه المفردة في فقرات عدة مثل:"هذا كتاب من محمد النبي..." و".. إنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم". والصحيفة التي اشتقت –أيضاً- من نص الوثيقة، الذي ورد فيه:".. وإنه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة.." و".. إن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.." ، و".. إنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة"... كما سماها البعض وثيقة المدينة أو دستور المدينة ، وذهب السيد محمد مهدي شمس الدين (رحمه الله) إلى تفضيل تسميتها بالصحيفة، لكن في هذه الدراسة يفضل تسمية الوثيقة، لأنه بعد مراجعة التسميات المتقدمة لغوياً، تبين أن تسمية الكتاب تنصرف إلى مجموعة الصحف المطبوعة، أما الصحيفة فتشير إلى ما يكتب فيه من ورق ونحوه ويطلق على المكتوب فيها صحف، في حين تذهب تسمية الوثيقة إلى الإشارة إلى ما يحكم به الأمر، وهي مؤنث وثيق، والوثيق من الشيء هو القوي، المتين، الثابت. فتسمية النص بالوثيقة هو الأقرب إلى الصواب، لأن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أراد من كتابته إرساء أسس تنظيمية قوية ومتينة وثابتة لعلاقة المسلمين مع محيطهم الديني وغير الديني، الداخلي والدولي.
انظر للمزيد :محمد مهدي شمس الدين ، في الاجتماع السياسي الإسلامي ، ط٢، بيروت ،المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، ١٩٩٩ ، ص ص ٢٦٣-٢٦٤ .
أنطوان نعمة وآخرون ، مصدر سابق ، ٥٠٨ .
إبراهيم مصطفى وآخرون ، مصدر سابق ، ص ص ١٠١١-١٠١٢ .

(٨٤) لمراجعة النص الكامل للوثيقة انظر:
عبدالملك بن هشام المعافري،السيرةالنبوية،المجلدالثاني،بيروت،الكتاب العالمي للنشر،٢٠٠٨،ص ص٩٨- ١٠٠.
(٨٥) المصدر نفسه ، ص ٩٨.
(٨٦) أنظر للمزيد :
علي بولاج، وثيقة المدينة المنورة : وثيقة السلام في مجتمع متعدد الثقافات والأديان ، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات على الموقع الالكتروني : www.rabitat-alwaha.net
(٨٧) عبد الملك بن هشام المعافري ، مصدر سابق ، ص ٩٨- ٩٩ .
(٨٨) علي بولاج ، مصدر سابق .
(٨٩) عبد الملك بن هشام المعافري ،مصدر سابق ، ص٩٩- ١٠٠ .
(٩٠) علي بولاج ، مصدر سابق .
(٩١) عبد الملك بن هشام المعافري ،مصدر سابق، ص ٩٩ .
(٩٢) المصدر نفسه ، ص٩٩- ١٠٠.
(٩٣) المصدر نفسه ، ص١٠٠.
(٩٤) انظر للمزيد حول هذه النظرية كل من:
علي يوسف ألشكري، الوسيط في الأنظمة السياسية المقارنة، ط١، عمان – الأردن، دار صفاء للنشر والتوزيع، ٢٠١٢، ص ص ٤٠ -٤٨.
رجب عبد الحميد، النظرية السياسية، القاهرة، دار أبو المجد للطباعة، ٢٠١١، ص ص ١٨٤-١٨٥.
(٩٥) لاحظ أن اليهود ليسوا جميعا معادين للمشروع السياسي الإسلامي آنذاك،كما اتضح عند تحديد صور الآخر في القرآن الكريم في المبحث الثاني،لذا يجب الانتباه إلى ذلك وعدم جمعهم في فئة واحدة يتحتم على الأنا معاداتها.
(٩٦) محمد مهدي شمس الدين، مصدر سابق، ص ٢٩٤.
(٩٧) انظر للمزيد:
حسن السعيد، مصدر سابق، ص ٨٠.
(٩٨) عبد الملك بن هشام المعافري، مصدر سابق، ص ٩٨.
(٩٩) علي جمعة ، وثيقة المدينة ودستور المواطنة ، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني : www.digital.ahram.org.eg
(١٠٠) عبد الملك بن هشام المعافري ، مصدر سابق ، ص ٩٨.
(١٠١) انظر للمزيد:
محمد مهدي شمس الدين، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، ط٧، بيروت، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠، ص ص ٥٣١-٥٣٢.
(١٠٢) عبد الملك بن هشام المعافري ، مصدر سابق ، ص ٩٩ .
(١٠٣) انظر للمزيد:
محمد مهدي شمس الدين ، نظام الحكم والإدارة في الإسلام ، مصدر سابق ، ص ص ٥٣٥-٥٣٦.
(١٠٤) انظر للمزيد: المصدر نفسه، ص ص ٥٣٢-٥٣٣
(١٠٥) انظر للمزيد: المصدر نفسه، ص ص ٥٣٨-٥٣٩.
(١٠٦) انظر للمزيد: عبد الملك بن هشام المعافري ، مصدر سابق ، ص ص ٩٨-٩٩ .
(١٠٧) انظر للمزيد: المصدر نفسه ، ص ص ٩٩- ١٠٠.

(١٠٨) انظر للمزيد: المصدر نفسه ، ص ١٠٠.

(١٠٩)غسان السعد.حقوق الإنسان عندالإمام علي(ع)،أطروحة دكتوراه منشورة،ط٢،بغداد،بلا جهة نشر، ٢٠٠٨، ص ٣٧.

(١١٠) المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

(١١١) خالد عليوي العرداوي ، الفكر السياسي عند السيد محمد الحسيني الشيرازي ، أطروحة دكتوراه منشورة ، كربلاء المقدسة ، مركز الفرات للتنمية والدراسات الإستراتيجية ، ٢٠٠٩ ، ص ١٩٣.

(١١٢) انظر للمزيد: كليفورد اوروين ، المواطنة والسلوك الحضاري كمكونين للديمقراطية الليبرالية ، بحث منشور في كتاب السلوك الحضاري والمواطنة ، تحرير ادوارد سي. بانفيلد ، ترجمة سمير عزت نصار ، ط١، عمان – الأردن ، دار النسر للنشر والتوزيع ، ١٩٩٥ ، ص ١١٣ وما بعدها.

(١١٣) أنظر للمزيد :
شبل بدران،التربيةالمدنية:التعليم والمواطنة وحقوق الإنسان،ط١،القاهرة،الدارالمصريةاللبنانية،٢٠٠٩،ص ١٠٠.

(١١٤) محمد مهدي شمس الدين، في الاجتماع السياسي الإسلامي، مصدر سابق، ص٢٦٦.

(١١٥) أنظر للمزيد : علي جمعة ، مصدر سابق .
بدر شبيب ، المواطنة في وثيقة المدينة ، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني : www.rasid.com

(١١٦) علي بن هشام المعافري ، مصدر سابق ، ص ص ٩٩-١٠٠.

(١١٧) نبيل لوقا بباوي، حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب، القاهرة، دار السعادة للطباعة، ٢٠١٠، ص١٦٦ .

(١١٨) علي بن هشام المعافري ، مصدر سابق ، ص ١٠٠ .

(١١٩) سورة النجم: ٣٨

(١٢٠) علي بن هشام المعافري ، مصدر سابق ، ص ١٠٠ .

(١٢١) المصدر نفسه ، نفس الصفحة .

(١٢٢) محمد مهدي شمس الدين، في الاجتماع السياسي الإسلامي، مصدر سابق، ص ٢٧٨.

(١٢٣) علي بن هشام المعافري ، مصدر سابق ، ص ١٠٠.

(١٢٤) انظر للمزيد:محمد مهدي شمس الدين،في الاجتماع السياسي الإسلامي، مصدر سابق، ص ص ٢٨٣ -٢٨٤.

المصادر .

أولا : القرآن الكريم

ثانيا: الكتب

- إبراهيم مصطفى وآخرون ، المعجم الوسيط ، ط٢ ، استانبول، دار الدعوة ، ١٩٨٩.
- أنطوان نعمة وآخرون، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط١، بيروت، دار المشرق، ٢٠٠٠.
- أنيله أفضالي ولورا كوليتون ، بناء التعايش : مسح لمشاريع التعايش في مناطق النزاعات العرقية ، بحث منشور في كتاب تخيل التعايش معا ، تحرير أنطونيا تشايز ومارثا ميناو ، ترجمة فؤاد السروجي ، ط١ ، عمان – الأردن ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦.
- حسن السعيد،الإسلام والرأي الآخر:تجربة الإمام علي نموذجاً،بيروت،دارألعمادي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.

- رجب عبد الحميد، النظرية السياسية، القاهرة، دار أبو المجد للطباعة، ٢٠١١.
- ساداكو أوغاتا،تخيل التعايش معا في المجتمعات المتنازعة،تقديم منشور في كتاب تخيل التعايش معا، تحرير أنطونيا تشايز ومارثا ميناو،ترجمة فؤاد السروجي،ط١،عمان – الأردن، الأهلية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦.
- ستيفن ديلو وتيموثي ديل ، التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني ، ترجمة ربيع وهبة ، ط١ ، القاهرة ، المركز القومي للترجمة ، ٢٠١٠ .
- سميح عاطف الزين ، معجم تفسير مفردات ألفاظ القرآن ، بيروت ، الدار الأفريقية العربية ،٢٠٠١.
- سفن م.سبينجيمان،ثمن الحريةالخفي:تأطيرعراقيل التعايش الاقتصادي،بحث منشورفي كتاب تخيل التعايش معا،تحريرأنطونيا تشايز ومارثا ميناو،ترجمة فؤاد السروجي،ط١،عمان- الأردن،الأهلية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦ .
- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، المجلد الرابع ، ط١٥ ، بيروت ، دار الشروق ، ١٩٨٨.
- نفس الكاتب ، نفس المصدر ، المجلد السادس.
- شبل بدران،التربية المدنية:التعليم والمواطنة وحقوق الإنسان،ط١،القاهرة،الدارالمصرية اللبنانية، ٢٠٠٩.
- عبد الملك بن هشام المعافري، السيرة النبوية، المجلد الثاني، بيروت، الكتاب العالمي للنشر، ٢٠٠٨.
- علي يوسف ألشكري، الوسيط في الأنظمة السياسية المقارنة، ط١، عمان – الأردن، دار صفاء للنشر والتوزيع، ٢٠١٢.
- كليفورد اوروين، المواطنة والسلوك الحضاري كمكونين للديمقراطية الليبرالية ، بحث منشور في كتاب السلوك الحضاري والمواطنة ، تحرير ادوارد سي. بانفيلد ، ترجمة سمير عزت نصار ، ط١، عمان – الأردن ، دار النسر للنشر والتوزيع ، ١٩٩٥.
- مارك غوبين، الدين كعامل مساعد وكمعيق للعمل من أجل التعايش بعد الخروج من النزاع ، بحث منشور في كتاب تخيل التعايش معا ، تحرير أنطونيا تشايز ومارثا ميناو، ترجمة فؤاد السروجي ، ط ١ ، عمان – الأردن ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦ .
- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح ، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،١٩٨١.
- محمد جواد مغنية ، التفسير الكاشف ، المجلد الأول ، ط٣ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٨١.
- نفس الكاتب ، نفس المصدر ، المجلد الرابع.
- نفس الكاتب ، نفس المصدر ، المجلد السابع .
- محمد بن الحسن الطوسي، التبيان في تفسير القرآن ، تحقيق احمد حبيب قصير ألعاملي ، ط١ ، المجلد السادس ، طهران ، مكتب الإعلام الإسلامي ،(١٩٨٧).
- مصدق الجليدي، الإسلام والحداثة السياسية: بناء العلمانية والديمقراطية وحقوق الإنسان ، ط ١ ، بيروت ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ٢٠١٠.
- محمد بن المرتضى الملقب بالفيض الكاشاني، كتاب الصافي في تفسير القرآن ، المجلد الأول ، طهران ، المكتبة الإسلامية ، بلا تاريخ نشر.
- محمد مهدي شمس الدين ، في الاجتماع السياسي الإسلامي ، ط٢، بيروت ، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر ، ١٩٩٩.
- نفس الكاتب، نظام الحكم والإدارة في الإسلام، ط٧، بيروت، المؤسسة الدولية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠.
- نبيل لوقا بباوي، حقوق الإنسان بين الإسلام والغرب، القاهرة، دار السعادة للطباعة، ٢٠١٠.

ثالثا : الرسائل والأطاريح الجامعية

- خالد عليوي العرداوي ، الفكر السياسي عند السيد محمد الحسيني الشيرازي ، أطروحة دكتوراه منشورة ، كربلاء المقدسة ، مركز الفرات للتنمية والدراسات الإستراتيجية ، ٢٠٠٩.
- غسان السعد.حقوق الإنسان عندالإمام علي(ع)،أطروحةدكتوراه منشورة،ط٢،بغداد،بلاجهةنشر، ٢٠٠٨.

رابعا : الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت)

- بدر شبيب ، المواطنة في وثيقة المدينة ، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني : www.rasid.com
- بلا كاتب ، الآخر فلسفة ، تعريف منشور في موقع الموسوعة الحرة ويكيبيديا في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني: www.ar.wikipedia.org
- حسين جمعه ، مفهوم الآخر ، مقال منشور في الشبكـة الدولية للمعلومـــات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني: www.social.subject-line.com
- زكي الميلاد، مفهوم الآخر بين المعنى السلبي والمعنى الايجابي، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني: www.annabaa.org
- زهير خويلدي، الأنا وجه لوجه مع الآخر أو ليفناس فيلسوف الغيرية، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني : www.alfalsafa.com
- سلمان العودة ، مفهوم التعايش بين المسلمين وغير المسلمين ، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني: www.al3nabi.com
- علي بولاج ، وثيقة المدينة المنورة: وثيقة السلام في مجتمع متعدد الثقافات والأديان، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات على الموقع الالكتروني: www.rabitat-alwaha.net
- علي جمعة ، وثيقة المدينة ودستور المواطنة ، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني: www.digital.ahram.org.eg
- كرستيان فان نيسبن ، مفهوم الآخر في المسيحية ، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني: www.coptcatholic.net
- محمد عابد الجابري ، الأنا والآخر أو مسألة الغيرية ، بحث منشور في الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الموقع الالكتروني: www.alfalsafa.com
- نفس الكاتب ، مفهوم الغيرية بين الغرب والإسلام ، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات على الموقع الالكتروني : www.alittihad.ae
- هاشم حسن هاشم السوداني، مفهوم الآخر، مقال منشور في الشبكة الدولية للمعلومات(الانترنيت) على الموقع الإلكتروني: www.arabic.alshahid.net